

أثر النظواهر الصوتية في القراءات القرآنية

مباركة محمد السيد السامح

باحث دكتوراه بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة أسوان

توطئة:

نقل لنا أئمة القراءات- رضي الله عنهم- القرآن الكريم بروايات مختلفة، كلها متصلة الأسانيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بين اختلافات هذه القراءات القرآنية- ذلك التنوع في بعض الظواهر الصوتية، كالفتح والإمالة والتقليل، وتفخيم وترقيق الراء واللام، والتخفيف والتثقل، وهذه الظواهر الصوتية وإن كان أبرز أسبابها اختلاف لهجات العرب التي نزل بها القرآن الكريم، إلا إنها تحميل كثيرا من الدلالات المتنوعة، والمعاني المختلفة، التي تثري التفسير، بل وتساعد في استنباط بعض الأحكام؛ فالكلمة المخففة دلالتها غير المثقلة من الكلمة نفسها، كما أن التفخيم يوحي بمعان لا يوحي بها الترقيق، والإمالة ترسم صورة المعنى مغايرا لما رسمه الفتح لدلالة هذه الكلمة.

وقد ذكرت في هذا البحث أمثلة لبعض تلك الظواهر الصوتية، محاولاً استنباط المعاني في ظلال سياقات النص القرآني، منها: السياق العام للقرآن الكريم، وسياق السورة الخاص بها، وسياق المكي والمدني من القرآن، وسياق الآية المراد الخوض في معانيها، متجنباً في ذلك أي شطط، أو محاولة تحميل النص غير ما يراد به.

وقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، الأول: أثر الفتح والإمالة والتثقل. الثاني: أثر تفخيم وترقيق اللام والراء. المطلب الثالث: أثر التخفيف والتثقل.

الكلمات المفتاحية

الظواهر الصوتية، الفتح، والإمالة، والتقليل، التخفيف، والتثقل

introduction

Among the differences of these Qur'anic readings - that diversity in some phonetic phenomena, such as opening, tilting and reduced, amplifying and thinning the raa and lam, and mitigating and weighting, and these phonetic phenomena, although the most prominent reasons are the different dialects of the Arabs in which the Holy Qur'an was revealed, but they download many diverse connotations, and different meanings, which enrich the interpretation, and even help in deriving some provisions; The word diluted its meaning is burdened by the word itself, and the amplification suggests meanings not suggested by thinning, and tilt paints the image of meaning different from what was drawn by the conquest to indicate this word. I have mentioned in this research examples of some of those phenomena phonetic, trying to deduce meanings in the shadows of the contexts of the Qur'anic text, including: the general context of the Holy Qur'an, and the context of its surah, and the context of Mecca and civil of the Qur'an, and the context of the verse to delve into its meanings, avoiding any abuse, or trying to download the text is what is intended. This section has been divided into three demands, the first: the impact of opening, tilting and minimizing. Second: the effect of amplifying and thinning the lam and back. The third requirement: the effect of dilution and weighting

المطلب الأول: أثر الفتح والإمالة والتثقل

اختلف أئمة القراءة في نقل بعض الكلمات القرآنية؛ فنقلها بعضهم بالفتح، ونقلها بعضهم بالإمالة، ونقلها آخرون بالتثقل؛ ولا يخلو هذا التنوع الصوتي من جماليات بلاغية، وآثار دلالية، وتنوع في المعنى القرآني.

الفتح: عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر، ويقال له التثخيم، وربما قيل له النصب.^(١)

الإمالة: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيرا.^(٢)

التثقل: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء قليلا، وهو بين الفتح والإمالة.^(٣)

نقل ابن الجزري عن الداني - رحمهما الله: "والإمالة والفتح لغتان مشهورتان، فاشيتان على السنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم. فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس".^(٤)

والفتح هو أصل كلام العرب، قال الداني - رحمه الله: "والأصل في الكلام كله الفتح، والإمالة تدخل في بعضه، في بعض اللغات لعله، والدليل على ذلك أن جميع الكلام الفتح فيه سائغ جائز، وليست الإمالة بداخلة إلا في بعضه، في بعض اللغات؛ لعله، والأصل ما عم، وهو الفتح".^(٥)

^١ النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م، ١٤٢٧هـ، ج ٢، ص ٢٣

^٢ السابق: ص ٢٤

^٣ السابق: ص ٢٤

^٤ السابق: ص ٢٤

^٥ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي،

تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، ج ١، ص ١٦٨

لما كان الفتح أصلاً والإمالة فرعاً؛ فإن للإمالة أسباباً ووجوهاً وفائدة، ومن يُميل، وما يمال من الكلمات.^(١) وسأذكر في هذا البحث أمثلة للكلمات الممالة، والمقللة، مبيناً الفوارق الدلالية الموحية بالمعاني المتنوعة المترتبة على فتح وتقليل وإمالة هذه الكلمات، عازياً هذه الكلمات لناقليها من أئمة القراءة، مكتفياً بذلك من المباحث؛ لأن غيرها من المباحث يختص بعلم القراءات.

الأثر الدلالي لأصوات الفتح والإمالة والتقليل:

عند سماع الأذن للكلمات القرآنية بأصوات الفتح والإمالة والتقليل تحس النفس بفوارق دلالية موحية من هذه الأصوات، بل ربما يرسم كل صوت من الأصوات الثلاثة دلالة بعينها تختلف عن أختيها الأخرين.

والإمالة أثرٌ واضحٌ في دلالة المعنى القرآني، فهي تصوّر المعنى تصويراً حركياً؛ حتى كأنك تراه ماثلاً أمام عينيك، ومن خلال استقرائي للآيات التي وردت فيها الإمالة تستشعر النفس دائماً معاني رقاقة ترسم الدلالات في لوحات واضحة صافية الرؤية، معلومة المعالم، ومن أمثلة دلالة الإمالة: دلالتها على معاني السهولة واليسر، معانٍ كأنها تأخذك من علٍ إلى أسفل، ومن معانيها دلالتها على الدنوّ والحقارة، ومنها معاني الانخفاض إلى أسفل^(٢) فهي دلالة حركية موحية.

لكن الفتح يفخم المعاني، ويدل على الارتفاع والفخامة، وتوحي بمعانٍ تدل على القوة والصعوبة أحياناً.

أما التقليل فهو يوحي بدلالاتٍ بين الفتح والإمالة.

^١ ينظر: النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٢٥

^٢ رسالة ماجستير، مبارك محمد السيد، ٢٠١٨، جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب، ص ٦٤

الأمثلة:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسِيسُ﴾ [الإسراء: ٨٣]

قال الزمخشري: "﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بالصَّحَّة والسَّعَةِ، ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله، كأنه مستغن عنه، مستبذ بنفسه، ﴿وَنَا بِجَانِبِهِ﴾: تأكيدٌ للإعراض؛ لأن الإعراض عن الشيء يوليه عرض وجهه، ... وأراد الاستكبار؛ لأن ذلك من عادة المستكبرين، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ من فقرٍ أو مرضٍ أو نازلةٍ من النوازل، ﴿كَانَ يُوسِيسُ﴾ شديد اليأس من روح الله".^(١)

اختلف أئمة القراءة في نقل كلمة ﴿وَنَا﴾: قرأها أبو جعفر وابن ذكوان: بألف وبعدها همزة ﴿ناء﴾ على وزن [جاء]. وقرأ الباقر بهمزة قبل الألف ﴿نَا﴾ على وزن [رأى].

كما اختلفوا في إِمالتها: فأمال همزة فقط: خلاد، ويحيى، وقللها الأزرق بخلفه. وأمال النون مع الهمزة: الكسائي، وخلف عن حمزة وعن نفسه، ووجه لشعبة، ويحيى بخلفه. أما الباقر فبالفتح.^(٢)

قراءة الفتح في ﴿وَنَا﴾ تدل على الاستعلاء والمبالغة في الكبر، وكأنها ترسم صورةً حيَّةً للفعل نفسه، من حيث رفع الرأس. أما قراءة الإمالة الصغرى فتوحي بأن هذا المعرض المستكبر اتخذ جانباً، بمعنى أن التقليل رسم هيئة الإنسان عندما يشيح بوجهه جانباً، ولاسيما مع توسط البدل وإشباعه، مما يوحي بالمبالغة في إمالة وجه المستكبر. كذا تعبر الإمالة الكبرى عن مدى إعراض وُبُعد النَّائي المستكبر عن ذكر الله تعالى.

^١ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م ج٣، ص ٥٤٧، ٥٤٨

^٢ ينظر: النشر في القراءات العشر، ج٢، ص ٣٤، ٢٣١

أما قراءة ﴿نَاء﴾ فهي تدل أن المستكبر بتكبره قد بُعد عن الصواب، وبلغ مرتبة لا مثيل لها في الكبر، ويعبر عن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٩]، فكأنه من كبره نسي أنه مخلوق.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ٢﴾ [الحج: ٢]

قال أبو جعفر: "يقول جل ثناؤه: يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من عظم هولها كل مرضعة مولود عما أرضعت".^(١)

اختلف أئمة القراءة في نقل كلمتي ﴿سكاري- بسكاري﴾: قرأها حمزة والكسائي وخلف بفتح السين وسكون الكاف: ﴿سكري﴾، وقرأها الباقر بضم السين وفتح الكاف وألف بعدها: ﴿سكاري﴾.

أمال كلمة ﴿سكري﴾: حمزة والكسائي وخلف. وأمال كلمة ﴿سكاري﴾: أبو عمرو، والصّوري بخلفه، وقلّ الأزرق.^(٢)

أفاد الفتح في ﴿سكاري﴾ وضوح حال الناس يوم القيامة، ودلّ على عظم هول هذا الموقف بدلالة فعل- السكر- كما أفاد الفتح تأكيد هول يوم القيامة. أما النقليل فكأنه يرسم حالة ترنّح وتمايل هؤلاء الناس السكري. كذا الإمالة تبرز وبوضوح هذه الصورة المتمايلة للناس من ذهول الموقف يوم القيامة. نسأل الله تعالى العافية.

^١ تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ج ١٦، ص ٤٥٤

^٢ ينظر: النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٢٩، ص ٢٤٤

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ١٠﴾ [الليل: ٥: ١٠]

قال جار الله: "﴿أعطى﴾: يعني حقوق ماله، ﴿واتقى﴾ الله فلم يعصه، ﴿وصدق بالحسنى﴾ ... الإيمان، أو ملة الإسلام، أو الجنة، ﴿فسنيسره لليسرى﴾ فسنبهؤه لها، ... ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: " كل ميسر لما خلق له"، والمعنى: سنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها. ﴿وأما من بخل واستغنى﴾: وزهد فيما عند الله، كأنه مستغن عنه فلم ينتقه، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة، ... ﴿فسنيسره للعسرى﴾: فسندخله ونمنعه الألفاف؛ حتى تكون الطاعة أيسر شيء عليه وأشدّه".^(١)

أمال كلمات: ﴿واتقى، بالحسنى، واستغنى، بالحسنى﴾ حمزة والكسائي وخلف، وقلّلا الأزرق وأبو عمرو. وأمال كلمة ﴿وأعطى﴾: حمزة والكسائي وخلف، وقلّلا الأزرق بخلفه. وأمال ﴿اليسرى، للعسرى﴾: أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف، وقلّلا الأزرق، والصوري بخلفه.^(٢)

قراءة الفتح في ﴿أعطى واتقى، الحسنى، لليسرى﴾ تدلّ على العظمة والفخامة في الإعطاء، وفي التقوى، وفي الثواب ﴿الحسنى﴾، فالعطاء غير متناهٍ، كما فعل أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، ومن قبلهم أمنا خديجة- رضي الله عنهم أجمعين. والتقوى ممن شأنهم العطاء حقيقة بهم، فناسب تلك القوة عظمة الأجر والثواب. والفتح في ﴿اليسرى﴾ يبرز وضوح طريق الخير والحق. أما الفتح في ﴿واستغنى﴾ تدلّ على مدى الكبر الذي بلغة ذاك البخل. كما يصور الفتح في ﴿للعسرى﴾ صعوبة السير في هذا الطريق، وأن العسر طريق كؤود، ناهيك عن وجود صوت [العين] الحلقي المجهور، والذي يبرز صفات الشدة والصعوبة.

^١ الكشف، ج ٦، ص ٣٨٦

^٢ ينظر: النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٣٧

لكنّ قراءة التّقليل في ﴿أعطى واتقى، الحُسنَى﴾ فإنّها دالّةٌ على السّهولة واليسر في العطاء في ﴿أعطى واتقى﴾ فالكريم لا يجد شحّاً مُطاعاً في نفسه، فهو ينفق بسخاءٍ ولينٍ، كما تصوّر الإمامة هنا معنى الخضوع والطاعة في العطاء، كذا نجد معاني القُرب والدنوِّ في ﴿الحسنَى﴾، فكأنّ الثّواب قريبٌ ممّن هؤلاء صفاتهم، فالثّواب من جنس العمل، ثم صوّرت الإمامة في ﴿الليسرَى﴾ سهولة السير في هذا الطّريق، ورسمت حركة السير، فكأنّه مسرّعٌ، كما أنّ الطّريق مُعبّدةٌ. أمّا التّقليل في ﴿واستغنى﴾ فكأنّ المستغني اتّكأ على جدارٍ هاوٍ لا يثبّت، وهو المال، فهذا المستغني به لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩] فالتّقليل مع الإمامة وكأنّهما رسماً صورةً متحرّكةً لاتّكاء هذا المستغني. والإمامة في ﴿اللّيسرى﴾ تدلّ على هوانٍ هذا السبيل، وحقارته، وأنّه مُنزلقٌ عاقبته وخيمةٌ.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمَرْسَىٰهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ٤١﴾ [هود: ٤١]

قال جار الله: "قلت: معناه: أن نوحاً - عليه السلام - أمرهم بالركوب، ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله، أو بأمره وقدرته، ...".^(١)

اختلف أئمة القراءة في ﴿مجراها، ومرساها﴾: أما ﴿مجراها﴾: قرأها الكوفيون ما عدا شعبة بفتح الميم، وإمالة ألفها. وقرأ الباكون: بضم الميم. وقلل الأزرق، وأمال أبو عمرو، والصّوريّ بخُلفه. أما كلمة ﴿ومرساها﴾: أمال ألفها حمزة والكسائيّ وخلف، وقلل الأزرق بخُلفه.^(٢)

تدلّ قراءة الفتح في ألف ﴿مجراها﴾ على قوة سير السفينة في الماء، وكأنّه تشق الماء شقّاً، ولمَ لا؟ وهي تجري بـ ﴿اسم الله تعالى﴾، كما تدلّ قراءة الفتح في الميم

^١ الكشف، ج٣، ص٢٠٠

^٢ ينظر: النشر في القراءات العشر، ج٢، ص٣٢، ٢١٦

أن الطريق مُعَبَّدَةٌ أمام هذه السَّيِّئَةِ، وتشعر النَّفْسُ أن هذا [المجرى] كأنَّه مُعَدُّ سَلَفًا لهذه السَّيِّئَةِ، أو كأنَّ السَّيِّئَةَ صاحِبَةُ المَجْرَى، فهو لها، مجراها هي وحدها. وجود الضَّمِّ في ميم ﴿مجرها﴾ يفيد القوة وفخامة هذا المجرى. ويعبّر الفتح في ألف ﴿مرساها﴾ على وضوح وظهور هذا الميناء الذي سترسو عليه السَّيِّئَةُ، وكأنَّ هذا الميناء لهذه السَّيِّئَةِ وحدها، فهي صاحِبَتُهُ.

الإمالة والتَّخْفِيفُ في ألفات ﴿مجرها﴾ و﴿مرساها﴾ تدلّ على يُسر وسهولة سير السَّيِّئَةِ في هذا الطَّوْفان العرمرم، وتصورُ الإمالة حركة سير تلك السَّيِّئَةِ، وترسم صورةً لسهولة رسوِّها في الميناء، وكأنَّه مجهزٌ لاستقبال هؤلاء الناجين من قوم نوح - عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هكذا صوّرت الإمالة مع التَّخْفِيفُ مع الفتح معاني عميقة، ووصفت أحاسيس مَنْ شهد هذا الموقف عبر الزَّمن.

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]

قال جار الله: "ومن كان في هذه الدُّنْيَا أعمى فهو في الآخرة أعمى كذلك، ... والأعمى مستعارٌ مَنْ لا يدرك المبصرات لفساد حاسته، لَمْ لا يهتدي إلى طريق النِّجاة؟، ... (١) والمقصود بهذا العَمَى "عَمَى القلب الذي يقع فيه التَّفَاوُت، فإنما عني به عَمَى قلوب الكفار عن حُجَجِ الله التي عاينتها أبصارهم، ...". (٢)

قرأ بالإمالة في ﴿هذه أعمى﴾: البصريان، والكوفيون إلا حفص، وقُلَّ الأزرق بخُلفه. وأمال هؤلاء المذكورون إلا البصريين ﴿أعمى وأضل﴾. وقرأ الباقر بالفتح فيهما. (٣)

^١ الكشف، ج٣، ص٥٣٨

^٢ تفسير الطبري، تحقيق التركي، ج١٥، ص١٢

^٣ ينظر: النشر في القراءات العشر، ج٢، ص٣٣

تدلّ قراءة مَنْ فتح ألف الكلمتين على مدى عِظَم هذا العَمَى عن الحقّ في الدُّنيا، فناسبه عَمَى عَظِيمٌ في الآخرة، كذا هذا العَمَى الدُّنيويّ كان عن قصدٍ وعمدٍ؛ لفحاشته وشِدَّتته، وعداوته للحقّ.

كما تدلّ إمالة وتقليل ألف الكلمتين على مدى خِسة ودناءة عَمَى الدُّنيا الذي هو عن الحقّ المُبين، كما يفيد المدّ الطَّبِيعي في ﴿أعمى﴾ على وجود زمن ليس بالقليل لإمكان إِبصار الحقّ واتِّباعه، كما أفاد- أيضاً- هذا المدّ نفسه في عَمَى الآخرة طول العاقبة الوخيمة التي تنتظر هذا الأعمى الدُّنيويّ الدّنيء.

إلا أن دلالة مَنْ قرأ بإمالة ﴿أعمى﴾ الأولى، مع فتح ألف ﴿أعمى﴾ الثانية، لتؤكد سوء عاقبة من يستهين بعَمَى الدُّنيا عن الحقّ، فكأنّ فتح ألف الثّانية يبعث لنا برسالة مفادها عاقبة العَمَى اليُسْر عن الحقّ في الدُّنيا عظيمةٌ وكبيرةٌ ومُفْجِعةٌ يوم القيامة، وهذه نكتةٌ لطيفةٌ أوحتها للنفس فتح ألف الأولى مع إمالة الألف الثّانية.

من ثمّ تدرك أذن القارئ والسامع لأوجهُ هاتيك الكلمات المُتنوّعة النّطق من حيث الفتح والتّقليل والإمالة- تدرك الأذن الفارق الشّاسع في الدّلالات والمعاني القرآنيّة، كما تشعر النفس أنّ بجمال تلك المعاني. أمّا الرّسالة الكُبرى المُستقاة من هذا الباب في القراءات هي أنّ القرآن الكريم هو كلام ربّ العالمين، وليس من كلام البشر.

المطلب الثّاني: أثر تفخيم وترقيق اللّام والرّاء

التّفخيم والترقيق والتّغليظ هي من ثمار صفات الاستعلاء والاستفال والإطباق والانفتاح، أي ناتجةٌ عنها؛ فالاستعلاء هو ارتفاع مؤخّرة اللّسان عند النّطق بالحرف؛ فينتج عنه ضيق مخرج الصّوت المنطوق؛ مما ينتج صدى لهذا الصّوت المنطوق، ويُسمّى هذا الصّدى تفخيماً أو تغليظاً. أمّا عند صفة الاستفال تتخفّض مؤخّرة اللّسان عند النّطق بالصّوت؛ مما يؤدّي إلى اتّساع المخرج؛ فينتج عنه ما يُسمّى بالترقيق. التّفخيم: لغةً: التّعظيم، وفخم الكلام: عظّمه. (١)

^١ لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف مادة (ف خ م)، ص ٣٣٦٢

اصطلاحاً: عبارة عن تسمين الحرف بجعله في المخرج جسيماً سمياً، وفي الصفة قوياً. والتغليظ مرادف للتفخيم، إلا أن التفخيم غلب استعماله في الراءات، والتغليظ غلب استعماله في بعض اللامات.^(١)

الترقيق: لغة: الرقيق: نقيض الغليظ والرخين.^(٢)

اصطلاحاً: عبارة عن تنحيف الحرف بجعله في المخرج نحيفاً وفي الصفة ضعيفاً.^(٣)

تنقسم الحروف الهجائية بالنسبة للتفخيم والترقيق إلى ثلاثة أقسام:^(٤)

الأولى: حروف تفخم دائماً، هي: [خ، ص، ض، غ، ط، ق، ظ].

الثانية: حروف تفخم تارة، وترقق أخرى، هي: [ر، ل].

الثالثة: حروف ترقق دائماً، وهي باقي الحروف الهجائية.

١- تغليظ اللام وترقيقها

اللام لها أحكام في علم التجويد، بأنها ترقق دائماً، إلا في اسم الجلالة إذا سبقت بفتح أو ضم؛ فإنها تفخم، لكن روى الإمام ورش عن شيخه المدني نافع تغليظ اللام في بعض الكلمات القرآنية بثلاثة شروط: الأول: أن تكون هذه اللام مفتوحة. الثاني: أن تسبق هذه اللام بحروف [ص، ط، ظ]. الثالث: أن تكون هذه الحروف الثلاثة [ص، ط، ظ] مفتوحة أو ساكنة. فعندما تتوفر تلك الشروط في أي كلمة قرآنية؛ فإن الإمام ورشاً- رحمه الله- يروي اللام فيها مغلظة.

^١ هداية القاري إلى كلام الباري، عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، الطبعة الثانية، مكتبة طيبة،

المدينة المنورة، ص ١٠٣

^٢ لسان العرب، مادة (ر ق ق)، ص ١٧٠٦

^٣ هداية القاري إلى كلام الباري، ص ١٠٣

^٤ السابق، الصفحة نفسها.

الأثر الدلالي لتغليظ اللامات عند ورش- رحمه الله:

مما لا ريب فيه أن دلالات تغليظ اللام توحى بمعان تدل على العظمة والفخامة، وتدل على الجلال ورفعة القدر والمكانة، وتدل على المهابة والسؤدد.
الأمثلة:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلْهَىٰ أَلِٰهَ الْفِرْعَوْنَ﴾ [آل عمران: ٢] قال ابن جرير: "فإنه خبر من الله جل وعز، أخبر عباده أن الألوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة والأنداد، وأن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا له؛ لانفراده بالربوبية وتوحده بالألوهية، وأن كل ما دونه فملكه، وأن كل ما سواه فخلقه، لا شريك له في سلطانه وملكه."^(١)

أجمع أئمة القراءة على تفخيم أو تغليظ اللام في اسم الجلالة ﴿الله﴾^(٢)؛ لتدل على تعظيم اسم الله تعالى، وإجلاله، وهذا التغليظ للام يفيد الفخامة والمهابة، فهو سبحانه عظيم وجليل، وهو الذي خص نفسه سبحانه بالأسماء الحسنى والصفات المثلى.
المثال الثاني: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]

ذكرت الآية الكريمة صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله تعالى.

قرأ ورش عن نافع- رحمهما الله- بتغليظ اللام في ﴿الصلاة﴾، والباقون بترقيقها، وقراءة التغليظ تعبر عن مكانة الصلاة في الإسلام ورفعتها، ووجود حرف الاستعلاء قبلها [ص] يكسبها فخامة وتعظيما، فالتغليظ لعب دور المضيفي على الصلām مهابة وتعظيما ورفعة المكانة.

أما قراءة ترقيق اللام في ﴿الصلاة﴾ فتوحى بسهولة ويسرها على المؤمنين، وأنها ليست مستحيلة الأداء.

^١ تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، ج ٦، ص ١٤٩

^٢ ينظر: النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٨٦

ف نجد تغليظ اللام وترقيقها أحاطا الصلاة بمعان إيحائية معبرة، تحس بها النفس عند سماع أو تلاوة القرآن الكريم.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٢٢٩﴾ [البقرة: ٢٢٩]

قال أبو جعفر: "هو دلالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته، والعدد الذي تبين به زوجته منه^(١)، وهو أولى بظاهر التنزيل"^(٢).

غلظ الإمام ورش- رحمه الله- اللام في ﴿الطلاق﴾؛ وهذا يدل على خطورته؛ لأن الأسرة تنهار بهذا الطلاق، فللطلاق قيمة كبيرة، ووقوعه طامة كبرى. أما ترقيق اللام في ﴿الطلاق﴾ فيوحي بأنه حل يلجؤ إليه عندما تغلق أبواب الصلح؛ لوجود الطاء في ﴿الطلاق﴾ فهو كارثة، أما ترقيق اللام فيجعله آخر الحلول المرة.

هكذا لوّح تغليظ اللام عند الإمام ورش- رحمه الله- وترقيقها عند الباقيين بمعان جليلة، مؤثرة بالإيحاء تارة، وبالدلالة المباشرة تارة أخرى، وهذا من كنوز أسلوب القرآن الكريم.

٢- ترقيق الراء عند الإمام ورش

لحرف الراء عدة أحكام في علم التجويد، تبين حالات تفخيمه وحالات ترقيقه، إلا أن الإمام ورش في روايته عن إمامه نافع- روي كثيرا من الراءات مرققة حسب قواعد خاصة، مخالفا في ذلك سائر أئمة النقل.

^١ تفسير الطبري، تحقيق شاكر، ج٤، ص٥٣٨

^٢ السابق، ص٥٤٤

الأثر الدلالي لترقيق الرءاءات عند ورش- رحمه الله:

من دلالات ترقيق الرءاء اللبونة والسهولة، ومنها دلالات الرحمة والرأفة، ومنها دلالات النعومة، وربما منها دلالات الحقارة والضعفة والسخرية، ومنها دلالات الضعف والهوان، ودلالات القلة، وغيرها مما يوحيه الترقيق من المعاني.

الأمثلة:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]

قال أبو جعفر: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاعتكم ذلك".^(١)

قرأ الإمام ورش- رحمه الله- بترقيق الرءاء في ﴿كثيرا﴾ وبتريق وتفخيم ﴿ذكرا﴾، والباقون بالتفخيم فيهما.

توحي قراءة الترقيق بسهولة ذكر الله تعالى، وكثرة الذكر تجعل اللسان رطبا، كما قال رسول الله - ﷺ - " لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله"^(٢)، ووصف الذكر بالكثرة دائما في القرآن الكريم مع ترقيق الرءاء يدل على اعتياد اللسان الذكر في كل أحيانه؛ فالترقيق هنا يدل على لبونة اللسان- رطبا من ذكر الله- بالذكر، وسهولة جريانه.

^١ تفسير الطبري، تحقيق التركي، ج ١٩، ص ١٢٣

^٢ حديث صحيح، من حديث عبد الله بن بسر، سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، المجلد الخامس، ص ٣٨٨، رقم الحديث: ٣٣٧٥- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، بيت الأفكار الدولية، ص ٤٠٥، رقم الحديث: ٣٧٩٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، عامر الغضبان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،

١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، المجلد ٢٩، ص ٢٢٦، ١٦٨٠

كما يدل تفخيم الرء على عظمة الذكر وفخامة مكانته في العبادة، ويدل على جلال المذكور سبحانه وتعالى.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَذُونَ ٤٩﴾ [الزخرف: ٤٩]

قال أبو جعفر: "يقول تعالى ذكره: قال فرعون وملؤه لموسى: ﴿يا أيها الساحر ادع لنا ربك﴾ وعنوا بقولهم ﴿بما عهد عندك﴾: بعهده الذي عهد إليك، أنا إن آمنا بك واتبعناك، كشف عنا الرجز، ... وإنما دعوه بهذا الاسم ﴿الساحر﴾؛ لأن معناه عندهم كان: يا أيها العالم".^(١)

قرأ ورش- رحمه الله- بترقيق راء ﴿الساحر﴾؛ لأنهم حتى في حاجتهم إليه يسخرون منه- العلية - ويحطون من قدره، فهم يلمزون به بترقيق الرء رغم أن الكلمة معناها كبير عندهم، وبذلك ندرك شأن الكافرين في تعاملهم مع الأنبياء ولو كانوا بحاجتهم، فشأنهم التحقير والاستهزاء والسخرية، كما بين القرآن ذلك في أول هذه السورة نفسها: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٧﴾ [الزخرف: ٦-٧] .

أما تفخيم الرء فيوحي بتعظيمهم إياه؛ لحاجتهم الشديدة لنبي الله موسى- العليه ، وكون القراءتين متواترتين، فباجتماعهما يوحي بأن الكافرين وهم بحاجة إلى موسى- العليه - لكشف الرجز عنهم، ورغم ذلك كان فريق منهم يشعر بخطورة الموقف، وفريق آخر لا يبالى ويسخرون من نبيهم رغم حاجتهم له.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥﴾ [الإسراء: ١٥]

^١ تفسير الطبري، تحقيق التركي، ج ٢٠، ص ٦٠٩

نقل الطبري عن قتادة: " والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بعمله".^(١)

رقق الإمام ورش- رحمه الله- الرءاء في ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾؛ لتعبر عن عظمة رحمة الله تعالى بخلقه، ورأفته التي ملأت الكون كله، حتى يوم القيامة لا يعاقب الله تعالى العبد الآثم إلا بعمله فقط، ولا يعاقبه بذنوب والديه أو أبنائه، مالم يكن هو سببا في ذلك. وكأن الترقيق في هذه الكلمات يرسم لوحة يملؤها العفو والصفح، ويزينها العدل، ويجملها ألوان من تيسير الحساب على الخلق يوم القيامة.

كذلك تحس النفس في ترقيق الرءاءات بتحقيق تلك الذنوب أما رحمة الله تعالى، وكأنها لا شيء، بل وتقل كثيرا من قدر تلك الذنوب.

أما تفخيم الرءاءات فيوحي بضخامة تلك الأوزار يوم القيامة، إلا أنها لا تحمل على الظلم، بل عدل الله تعالى في ألا يعذب أحدا بذنب ارتكبه غيره، مهما عظم هذا الذنب.

المثال الرابع: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُؤْتَيْنَا مَالٍ هَذَا الْكِتَابُ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا ٤٩﴾ [الكهف: ٤٩]

قال أبو جعفر: "يقول عز ذكره: ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله؛ ... فتري المشركين بالله ... خائفين وجلين ﴿مما فيه﴾ مكتوب من أعمالهم السيئة التي عملوها في الدنيا أن يؤاخذوا بها، ... ويقولون إذا قرءوا كتابهم، ورأوا ما كتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله، وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التي قد أحصاها كتابهم، ولم يقدروا أن ينكروا صحتها".^(٢)

^١ السابق، ج ١٤، ص ٥٢٦

^٢ تفسير الطبري، تحقيق التركي، ج ١٥، ص ٢٨٣، ٢٨٤

قرأ الإمام ورش- رحمه الله- بترقيق الراء في ﴿يغادر، صغيرة، كبيرة، حاضرا﴾، وهذا الترقيق يوحي بأن كل الذنوب مثبتة في كتبهم مهما حقرت وصغرت هذه الذنوب، ومهما كانت قليلة أو دقيقة، فإنه لا يعزب عن علم الله شيء في الأرض ولا في السماء، فالقلة والصغر في ترقيق راء ﴿صغيرة﴾ والحقارة في ترقيق راء ﴿كبيرة﴾، وترقيق راء ﴿يغادر﴾ بمعنى لا يترك شيئاً ولو صغيراً، وراء ﴿حاضرا﴾ يوحي بسهولة إيجاده وحفظه.

أما قراءة تفخيم الراءات- عند غير ورش- فإنها توحى بتهول الموقف العام، حيث ييغت الكفار بهذا الموقف يوم القيامة، وفيه أن الذنوب مهما صغرت في أعين الناس فإن عظمتها تكمن في عصيان الخالق تبارك وتعالى، لا في نفسها، وتفخيم راء ﴿كبيرة﴾ بعظم بشاعة هذه الذنوب، فهي كبيرة في نفسها، وتزداد بشاعة لأنها في حق الله تعالى أكبر. لكن تفخيم راء ﴿حاضرا﴾ يوحي بجلال الموقف وهيبته.

وبذلك يرسم صوت الراء- بترقيقه وتفخيمه- دلالات متنوعة وكثيرة، يتأملها العاقل؛ ليعلم عظمة أسلوب القرآن العظيم، وقيمة القراءات القرآنية في الدلالات، وفوائدها في التفسير.

المطلب الثالث: أثر التّخفيف والتّثقيـل

نقل لنا أئمة القراءة بعض الكلمات القرآنية مخففة تارة، وأخرى مثقلة، فعندما نقرأ أو نسمع الكلمة القرآنية الواحدة مرة مخففة، وأخرى مثقلة؛ فإن النفس تشعر بتنوع وثراء المعاني، وكثرة الدلالات، والتي تعبر عن اندهاش العقل، وتؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وكأن كل قراءة هي بمثابة تعدد الآيات، فكل قراءة تعبر عن آية منفردة.

الأثر الدلالي للتخفيف والتثقيـل:

كما أن التخفيف في الكلمة القرآنية يدل على فعل الشيء؛ فإن التثقيـل يدل على تعدد أو تكرار هذا الفعل مرة بعد مرة.

الأمثلة:

المثال الأول: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَايَتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]

يقول الله تعالى: قد علمنا بتكذيب قومك لك يا محمد - ﷺ - وعلمنا حزنك وتأسفك عليهم، إلا أنهم لا يهتمونك بالكذب، ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم.^(١)

كلمة ﴿يَكْذِبُونَكَ﴾ "قرأها نافع والكسائي بالتخفيف، وقرأها الباقر بالتشديد".^(٢) قراءة التخفيف تدل على أن الكافرين لا يكذبون النبي - ﷺ - في ذاته؛ لأنهم لم يجربوا عليه كذبا قط، بل عرفوه ولقبوه بالصادق الأمين، "وحجة من خففه حمله على معنى: لا يجدونك كاذبا؛ لأنهم يعرفونك بالصدق. وقيل: فإنهم لا يجعلونك كاذبا؛ إذ لم يجربوا عليك الكذب"^(٣) فالتخفيف ينفي الكذب للنبي - ﷺ - في ذاته. أما قراءة التثقل والتشديد فتدل على أن الظالمين يعرفون صدق ما جاء به النبي - ﷺ ، ولا ينسبون كلامه إلى الكذب؛ لأن الذي جاء به موجود عندهم في كتبهم، "فإنهم لا ينسبونك إلى الكذب؛ ... فالمعنى: لا يقدرون أن ينسبوك إلى الكذب فيما جئتهم به؛ لأنه في كتبهم".^(٤)

فقراءة التخفيف تنفي كذب النبي - ﷺ - في نفسه، كما أن قراءة التخفيف تنفي كذب ما جاء به النبي - ﷺ - من أخبار، ... فنجد القراءتين تنفيان الكذب عن رسول الله - ﷺ - سواء في ذاته، أو فيما جاء به من القرآن، لكن دافعهم إلى التكذيب هو جحودهم بآيات الله تعالى.

^١ ينظر: تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٢٥٠، ٢٥١

^٢ النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ١٩٣

^٣ الكشف عن وجوه القراءات، ج ١، ص ٤٣٠

^٤ السابق، ص ٤٣٠، ٤٣١

المثال الثاني: قال تعالى: : فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤]

يخبرنا القرآن الكريم أنه ذكر الكافرين لكنهم "أعرضوا عنه وتناسوه، وجعلوه وراء ظهورهم، ففتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون من أموال وأولاد وأرزاق- استدراجا منه تعالى وإملاء لهم، أخذناهم غفلة؛ فهم آيسون من كل خير".^(١)

اختلف أئمة القراءة في نقل كلمة ﴿فَتَحْنَا﴾ بين التخفيف والتثقل، فقرأها بالتثقل ابن عامر وابن وردان، وابن جمار بالوجهين، والباقون بالتخفيف.^(٢)

قراءة التخفيف تدل على فتح أبواب الرزق لهؤلاء ولو مرة واحدة. أما التثقل فتدل على التكرير والتكرار ومعاودة فتح أبواب الرزق مرة تلو الأخرى، "غير أن التشديد فيه معنى التكرير والتكرير".^(٣)

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّبَيِّنَاتٍ لِّكُمْ وَأَنَّكُمْ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢﴾ [الأعراف: ٦٢]

قال أبو جعفر: "وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن نبيه نوح- عليه السلام - أنه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذبوه: ... فأنا أبلغكم رسالات ربي، وأنصح لكم في تحذيري إياكم عقاب الله على كفركم به، وتكذيبكم إياي، وردكم نصيحتي، ...".^(٤)

قرأ أبو عمرو بالتخفيف في ﴿أَبْلَغُكُمْ﴾، وقرأ الباقر بالتشديد.^(٥)

^١ تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٥٦

^٢ ينظر: النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ١٩٤

^٣ الكشف عن وجوه القراءات، ج ١، ص ٤٣٢

^٤ تفسير الطبري، تحقيق شاکر، ج ١٢، ص ٥٠٠

^٥ ينظر: النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٢٠٣

تدل قراءة التخفيف على تمكين الإبلاغ، والتوكيد ^(١)، أما قراءة التشديد فتدل على تكرار الإبلاغ وكثرته، حيث عاش نبي الله نوح- ^(عليه السلام) - طويلا، وورد عنه في القرآن الكريم أنه نوع في البلاغ، حيث الليل والنهار، الإسرار والجهر، أفرادا وجماعات؛ فجاء التنقيط ليرسم تلك اللوحة من المعاناة في الإبلاغ، وكأنك تعيش تلك السنين الطوال.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]

يقول أبو جعفر: "يقول تعالى ذكره: وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون: أئدع موسى وقومه من بني إسرائيل؛ كي يفسدوا خدمك وعبيدك في أرضك من مصر، ويدع موسى خدمتك وعبادتك وعبادة آلهتك." ^(١)

كلمة ﴿سنقتل﴾: قرأها "المدنيان وابن كثير بفتح النون وإسكان القاف وضم التاء، من غير تشديد، وقرأ الباقلون بضم النون وفتح القاف وكسر التاء وتشديدها." ^(٢)

قراءة التخفيف تدل على القتل؛ فربما يكون القتل قليلا أو كثيرا، لكنه قتل. أما قراءة التنقيط مع ضم النون فتوحي بالكثرة والمبالغة، وأنه بلغ مبلغا كبيرا في قتل الناس.

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣]
قال أبو جعفر: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله عم بقوله ﴿فهدي﴾ الخبر عن هدايته خلقه، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى، وقد هداهم لسبيل

^١ تفسير الطبري، تحقيق شاکر، ج ١٣، ص ٣٦، ٣٧

^٢ النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٢٠٣، ٢٠٤

الخير والشر، وهدي الذكور لمأتى الإناث، فالخبر على عمومه، حتى يأتي خبر تقوم به الحجة، دال على خصوصه".^(١)

قرأ الكسائي بالتخفيف في ﴿قدر﴾، وقرأ الباقر بالتثقل.^(٢)

تدل قراءة التخفيف على معنيين اثنين: أحدهما: من القدرة على الأشياء؛ فهو سبحانه قادر، لذا؛ يهدي من يشاء، فهو سبحانه قادر على هداية خلقه جميعا، "قرأه الكسائي، من القدرة على جميع الأشياء، والملك لها، والمعنى فيه: فهدى وأضل، ثم حذف لفظ الضلال لدلالة الهدى عليه"^(٣). الآخر من معاني التخفيف: من التقدير الذي ضد البسط، "ويجوز أن يكون من التقدير، كما قال: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ٢٦﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ١٦﴾ [الفجر: ١٦]"^(٤)

أما قراءة التثقل فتدل على التقدير الذي من القدر الغيبي؛ فالله سبحانه قدر كل المخلوقات ويسر لها مصالحها وعرفها حاجاتها، "وقرأ الباقر بالتشديد، من التقدير، على معنى: قدر خلقه فهدى كل مخلوق إلى مصلحته، وقد قال: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ٢١﴾ [الفرقان: ٢]"^(٥)

بذلك يبين دور التخفيف والتثقل في تنوع دلالة الآيات؛ فقد أضفى عليها سجلا من المعاني الرائقة، والدلالات الأثرية في النفس.

^١ تفسير الطبري، تحقيق التركي، ج ٢٤، ص ٣١٢

^٢ ينظر: النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٢٩٩

^٣ الكشف عن وجوه القراءات، ج ٢، ص ٣٧٠

^٤ السابق، ج ٢، ص ٣٧٠

^٥ الكشف عن وجوه القراءات، ج ٢، ص ٣٧٠

خاتمة ونتائج

- ١- إن اختلاف القراءات القرآنية اختلاف تتوّع لا اختلاف تضاد؛ فالمعاني تعضد بعضها، وتشد من أزر أختها.
- ٢- نلاحظ دقة نقل أئمة القراءات القرآنية عند الاختلافات الصوتية الدقيقة في النطق، وأنهم كانوا يتمتعون بالأمانة والدقة العلمية العالية.
- ٣- بدا جلياً أهمية القيمة الصوتية للظواهر التي جاءت في القراءات القرآنية، مثل الفتح والإمالة والتقليل، وغيرها من الظواهر.
- ٤- ظاهرة التخفيف والتثقل لها قيمة دلالية لا تخفى في دلالة المعاني من خلال القراءات القرآنية.
- ٥- تلك الظواهر الصوتية تبرز لا بد وأن تفرد بالبحث، وإلقاء مزيد من التنقيب عن دورها في تنوع المعاني والدلالات.

المصادر والمراجع

١- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٢- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

٣- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٤- رسالة ماجستير، مبارك محمد السيد، ٢٠١٨، جامعة جنوب الوادي، كلية الآداب.

٥- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، بيت الأفكار الدولية.

٦- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٧- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٨- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

- ٩- لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف.
- ١٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، عامر الغضبان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- ١١- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م، ١٤٢٧هـ.
- ١٢- هداية القاري إلى كلام الباري، عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، الطبعة الثانية، مكتبة طيبة، المدينة المنورة.

أثر المياه على المعارك خلال العباسي الثاني

(٢٣٢-٩٣٣هـ/١٤٧-٩٤٦م)

إعداد

أميرة محمد المنصور سلطانة

الملخص

تناولت هذه الدراسة أثر المياه على المعارك الحربية في عصر المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي الثاني (٢٣٢- ٦٥٦ هـ/ ٨٤٧ - ١٢٥٨ م)، وكان الهدف من هذه الدراسة هو التعرف على أثر المياه على المعارك الإسلامية خلال عصر العباسي الثاني حتى دخول المغول بغداد، فقد لعبت المياه دورا كبيرا في المعارك من خلال عدة أوجه مختلفة، وهي من أولويات تجهيز الجنود فوفرة المياه تؤدي إلى إنتصار الجنود وإستمرار قوتهم لمواصلة المعركة، لذلك إستغل الجنود الماء فى خطط المعارك وإستخدموها فى الحيل العسكرية، وللأمطار أيضا أثر كبير على سير معارك وإنتصار أو إنهزام الجيوش، كما لعبت الأنهار والبحار دورا فى حروب المسلمين .

Abstract

This study dealt with the impact of water on military battles in the era of the Islamic Levant during the second Abbasid era (232-656 AH / 847-1258 AD). The aim of this study was to identify the effect of confusion on Islamic battles during the pre-Islamic era and the issuance of Islam until the end of the first Abbasid era Water played a major role in battles through several different aspects, and it is one of the priorities of equipping the soldiers. The abundance of water leads to the victory of the soldiers and the continuation of their strength to continue the battle. Therefore, the soldiers took advantage of the water in the battle plans and used them in military tricks, and the rains also had a great impact on the conduct of battles and victory Or the defeat of armies, and rivers and seas also played a role in Muslim wars.

القضاء على ابن بعيث ٢٤٠هـ/٨٥٥م

كان محمد ابن بعيث بن الجليس^(١) قد خرج على المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م)^(٢) في عام (٢٣٢هـ/٨٤٧م) وقد أسره المتوكل، وكان يقوم على خدمة ابن بعيث رجل يسمى خليفة؛ عندما علم ابن خليفة بمرض المتوكل، أخبر خليفة ابن بعيث كذبا بموت المتوكل ليهرب، فهرب ابن بعيث هو وخليفه إلى موضعه من أذربيجان^(٣) وهو مرند^(٤) وهي من مدن أذربيجان،^(٥) وكان لابن بعيث قلعتان قلعة شاهي^(٦) وقلعة

(١) ذكره الطبري في تاريخه بابن حليس وأيضاً ابن كثير، وهو محمد بن البعيث بن حلبس الربيعي، خرج على المتوكل في أول أيامه بنواحي أذربيجان فأخذه وحبسه فهرب من الحبس وعاد إلى ماكان عليه، (الطبري(ت:٣١٠هـ): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ج٩، ص١٦٤، ابن مسكويه (ت: ٤٢١هـ): أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ط١، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٤، ص١١٢، الصفدي (ت: ٧٦٤هـ): صلاح الدين بن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، ط١، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢، ص١٨٤).

(٢) المتوكل: المتوكل على الله جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن هارون الرشيد لن المهدي بن المنصور العباسي الهاشمي القرشي (٢٣٢-٢٤٧هـ)، تولى بعد أخيه الواثق بالله، أمه أم ولد تركية اسمها شجاع، هو الخليفة العباسي العاشر، (الطبري: تاريخه، ج٩، ص٢٢٢، السيوطي(ت: ٩١١هـ): الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، جدة، ط٣، ٢٠١٣م، ص٥٣٧).

(٣) أذربيجان أران: أذربيجان بالفتح ثم السكون، وفتح الراء وكسر الباء إقليم واسع يقع في حدود الإقليم الخامس، النسبة إليه أذرى، ومن أشهر مدنها تبريز وهي قصبتها وأكبر مدنها،(ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٢٨، ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٩٣).

(٤) مرند: بفتح أوله وثانيه، ونون ساكنة، ودال، من مشاهير مدن أذربيجان بينها وبين تبريز يومان، واستدارتها فرسخان،(ياقوت الحموي(ت: ٦٢٦هـ): شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٥، ص١١٠، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١١٣، ابن الأثير(ت: ٦٣٠هـ): أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، ط١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٦، ص١٠٠).

(٥) الطبري: تاريخه، ج٩، ص١٦٤، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١١٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٠٠.

(٦) شاهي: موضع قرب القادسية، وذكر اليعقوبي أنها بين الكوفة وبغداد(اليعقوبي: تاريخه، ج٢، ص٤٦٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٠٠).

يكر، ويكر خارج البحيرة، وشاهي في وسط البحيرة، والبحيرة تقع على بعد حوالي ٣٠٠ كم من حدود أرمية، إلى رستاق داخرقان بلاد محمد بن الرواد، وشاهي قلعة ابن البعيث حصينة يحيط بها الماء، يركب الناس من أطراف المراغة إلى أرمية وهي بحيرة لا سمك فيها ولا خير^(١).

هرب ابن بعيث إلى مرند و جمع بها الطعام وكان بها عيون ماء وأصلح سورها واجتمع حوله كل من أراد الفتنة فتجمع حوله ٢٢٠٠ رجل من ربيعة وغيرهم، فأرسل إليه المتوكل القائد حمدويه بن علي بن الفضل السعدي أذربيجان على رأس ١٠٠٠٠ جندي، فحاصره القائد حمدويه ولكنه فشل في قتال ابن البعيث لإحتمائه بمدينة مرند والتي تتميز بأنها مدينة استدارتها نحو ١٢ كم وفي داخلها بساتين كثيرة، ومن خارجها تحيط بها البساتين باستدارة أسوار المدينة إلا في مواضع أبوابها؛ وكذلك جمع ابن البعيث الآلات الحصار، وأيضا وجود عيون الماء أطال من مدة الحصار؛ ووجه المتوكل زيرك التركي في ١٠٠ فارس من الأتراك، فلم يصنع شيئا، فأرسل المتوكل عمرو بن سيسل بن كال في ٩٠٠ من الشاكرية فلم ينجحوا في القضاء على ابن البعيث، ثم وجه إليه بغا الشراي^(٢) وتحت قيادته ٤٠٠٠ رجل، عجزوا أيضا عن القضاء عليه^(٣).

قام حمدويه بن علي^(٤) وعمر بن سيسل وزيرك بالزحف إلى مرند ثم قطعوا ماحولها من الشجر وشجر الغياض ونصبوا عليها ٢٠ منجنيقا، وبنوا بحذاء المدينة ما يستكنون فيه، وقام ابن البعيث أيضا بنصب المناجيق عليهم وقام رجاله بالرمي بالمقاليع، فكان رجال الخليفة المتوكل لا يستطيعون الإقتراب من سور المدينة، فقتل من أولياء السلطان في حربه ١٠٠ رجل، وجرح نحو من ٤٠٠ رجل، وكذلك قتل وجرح من اصحاب ابن بعيث مثل ذلك العدد^(٥).

(١) الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ١٦٥، ١٦٤، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ١٨٤.

(٢) بغا الشراي: قتل ٥٢٥٤هـ، (ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٤، ص ٢٠٣،) .

(٣) اليعقوبي: تاريخه، ج ٢، ص ٤٥٠، الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ١٦٥، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١١٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٠٠.

(٤) حمدويه بن علي: عامل أذربيجان، (اليعقوبي: تاريخه، ج ٢، ص ٤٥٠، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٤، ص ١١٤) .

(٥) الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ١٦٥، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٤، ص ١١٣ -

١١٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٠١.

وكان معظم الرجال مع ابن بيعث من ربيعة؛ فأرسل إليهم بغا الشرابي^(١) رجل من قومهم يدعى عيسى بن الشيخ السليل الشيباني ليطالبهم بالاستسلام ولهم الأمان، فاستسلم كثير منهم ودخل المدينة حمدويه وزيرك، وخرج ابن بيعث من منزله هارباً، فلحقه بعض الجنود يسير في طريقه متقلداً سيفه نحو نهر عليه رحا ليختبئ في الرحا، فأسرته الجنود ونهب الجنود منزله ومنازل أصحابه وبعض منازل أهل المدينة، وأخذوا له أختين وثلاثة بنات وخالته والباقي أسارى حتى بلغ عدد حرمه في يد السلطان ثلاثة عشر، وبذلك تم فتحها مرند وأسر ابن البيعث على يد بغا الشرابي^(٢).

أثر المياه في النزاع بين المستعين والمعتز بالله حول ولاية العرش ٨٥٩/٥٢٥١م

- سير المستعين لبغداد

بعد مقتل داغر تمرد الأتراك بسبب قتله، فسار المستعين (٢٤٨-٢٥٢/٨٦٢-٨٦٦م)^(٣) يصحبه قاداته بغا ووصيف، وشاهك الخادم وأحمد بن صالح بن شیرزاد،

(١) بغا الشرابي: بغا التركي الصغير، المعروف بالشرابي الأمير، من كبار قواد المتوكل، وهو أحد من دخل عليه وفتك به، (الذهبي) (ت: ٧٤٨هـ): الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ١، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٩٣، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ١١٠).

(٢) الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ١٦٥، ١٦٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٠١، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ١٨٤، عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٥م، ص ٥٢.

(٣) المستعين: أبو العباس، أحمد بن المعتصم بن الرشيد، وهو أخو المتوكل، ولد سنة ٢٢١هـ، وأمّه أم ولد أسماها مخارق، تولى الخلافة ٢٤٨هـ، وخلع نفسه في أول سنة ٢٥٢هـ، (ابن قتيبة) (ت: ٢٧٦هـ): أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة بن الدينوري، ط ٤، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٣٩٣، الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط ١، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ٩، ص ٥٤، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٥٥٦، ٥٥٥).

ودليل في حراقة إلى بغداد، وعندما علم الأتراك بمجئ المستعين إليهم، نهبوا دار دليل ودور أهله وجيرانه، حتى أنهم أخذوا الخشب وعلف الدواب، ومنع الأتراك الناس من الذهاب لبغداد وأخذوا ملاحا قد أرسى سفينته فضربوه وصلبوه على دقلها فإمتنع أصحاب السفن عن التحرك بسفنهم وأعلنوا الإضراب، وقد وصل المستعين إلى بغداد في خمسة من المحرم من سنة ٥٢٥١هـ، فنزلوا على محمد بن عبدالله بن طاهر^(١) في داره ثم جاء لبغداد جماعة من القواد مثل جعفر الخياط^(٢)، وسليمان بن يحيى بن معاذ ومجموعة من الكتاب والعمال وبني هاشم وجماعة من أصحاب بغا ووصيف^(٣).

- ثورة الأتراك على المستعين خلعه ٥٢٥١/٨٥٩م

بعد إستقرار المستعين(٢٤٨-٥٢٥٢/٨٦٢-٨٦٦م) ببغداد أتاه قوم من الأتراك و ألقوا أنفسهم بين يديه وسألوه العفو عنهم و طلبوا منه السير معه لسامراء لأن باقي الأتراك ينتظرونه، فضربهم أحد رجاله وطلب منهم التحدث بطريقة تليق بأمر المؤمنين، وطلب منهم المستعين العودة لسامرا وأرزاقيهم سيرسلها إليهم كما هي، وسيفكر في طلبهم، فيئسوا منه ومشوا ثم وحرصوا على خلعه^(٤).

(١) محمد بن عبدالله بن طاهر: أسند المستعين له ولاية خراسان الكرديزي فخرج أمير طبرستان الحسن بن زيد العلوي عليه وهزمه واستولى على طبرستان (الكرديزي(ت:٤٤٣هـ): أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي، زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٠١).

(٢) جعفر الخياط: هو جعفر بن دينار المعروف بالخياط، كان عامل اليمن (اليقوبي: تاريخه، ج٢، ص ٤٤٨).

(٣) الطبري: تاريخه، ج٩، ص ٢٦٥، ٢٦٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٦٥، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٥٥٥.

(٤) الطبري: تاريخه، ج٩، ص ٢٨٣، ٢٨٢، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص ١٦٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ١٦٦، ١٦٥، الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٩، ص ٥٤.

وقام الترك بإخراج المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م)^(١) والمؤيد^(٢) من حبس الجوسق، وبايعوا للمعتز بالخلافة، عندما علم محمد بن عبدالله خبربيعة المعتز وتوجيه العمال أمر بقطع الميرة عن أهل سامرا وكتب إلى مالك بن طوق في المسير إلى بغداد وأهل بيته وجنده، وكتب إلى نجويه بن قيس وهو على الأنبار^(٣) في الاحتشاد والجمع إلى سليمان بن عمران الموصلي في منع السفن والميرة عن سامرا فأخذت سفينة ببغداد فيها أرز وغيره فهرب الملاح وبقيت السفينة حتى غرقت، وأمر

(١) المعتز: قيل اسمه الزبير، ويكنى أبو عبدالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، ولد سنة ٢٣٢هـ، وأمه أم ولد رومية، تسمى قبيحة، بوبع له عند خلع المستعين في سنة اثنين وخمسين، وله تسع عشرة سنة، وهو أصغر خليفة تولى المنصب، ولد بسمراء (ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٩٤، الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ٢٨٥، ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ): جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن جعفر الجوزي البغدادي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ١٢، ص ٤٣، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٥٥٧).

(٢) المؤيد: إبراهيم بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم، المؤيد بالله، عقد له أخوه المعز بالله بالأمر من بعده، وجعله ولي عهد، ثم بلغ المعتز عنه أمر فضربه وخلعه ثم حبسه، وذلك في رجب ٢٥٢هـ، (الذهبي(ت: ٧٤٨هـ): الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط ١، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م، ج ١٩، ص ٦٦).

(٣) الأنبار: تقع على يسار الفرات، وهي من مدن العراق، وسميت بذلك لأنه كانت تجمع بها أنابيب الحنطة والشعير وغيرها، وهي مدينة بجوزجان قرب مدينة بلخ في خراسان، وهي أكبر من مرو الروز، والأنبار أيضا مدينة على الفرات في غرب بغداد بينها عشرة فراسخ، والأنبار تبعد عن بغداد عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور، وكان أول من بناها سابور بن هرمز ذو الأكتاف وأطلق عليها فيروز سابور، سميت الأنبار لأنه كان يجمع بها أنابيب الحنطة والشعير والقت والتبن وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها وقيل لأن كسرى بن هرمز كان يرزق أصحابه منها، وكانت بها معركة الأنبار وذات العيون لكثرة من فقت أعينهم من أهل الأنبار، فتحت أيام أبي بكر الصديق عام ١٢هـ، (البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٤٤، قدامه بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ٣٥٦، البكري: معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ١، ص ١٩٧، ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٤، ص ١٠٦، ١٠٧، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٤٥، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١٩، ص ٧٠، أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٠١، ابن عبد الحق البغدادي: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (٧٣٩هـ)، مرصد الأطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، ط ١، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٢م، مج ١، ص ١٢٠، ابن خلدون: تاريخه، ج ٢، ص ٥١١، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٣٧، أحمد على الصوفي: أرض السواد، ص ٣٧، كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٩١-٩٢).

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

المستعين (٢٤٨-٢٥٢/هـ ٨٦٢-٨٦٦م) محمد بن عبدالله بتحسين بغداد فتقدم في ذلك فأدير عليها السور من دجلة من باب الشماسية^(١) إلى سوق الثلاثاء حتى أورده دجلة، وأمر بحفر الخنادق من الجانبين جميعا، وجعل على كل باب قائدا، فبلغت النفقة على ذلك جميعا ٣٣٠٠٠٠ ألف دينار، ونصب على الأبواب المنجنيقات والعرادات وشحن الأسوار^(٢).

وقام المستعين بفرض فرضا للعيارين وجعل عليهم عريفا اسمه بينويه وعمل لهم تراسا من البواري المقيرة وأعطاهم المخالي ليجعلوا فيها الحجارة للرمي، وفرض أيضا لقوم من خراسان قدموا حجاجا فسئلوا المعونة فأعانوا، وكتب المستعين إلى عمال الخراج بكل بلدة أن يكون حملهم الخراج والأموال إلى بغداد لا يحمل منها إلى سامراء شيء، وكتب إلى الأتراك، والجند الذين بسامراء يأمرهم بنقضبيعة المعتز (٢٥٢-٢٥٥/هـ ٨٦٦-٨٦٩م) ومراجعة الوفاء له ويذكرهم أياديه عندهم ويناههم عن المعصية والنكث، وتبادل المعتز ومحمد بن عبد الله المراسلات المعتز يدعو محمدا لمبايعته، ومحمد يدعو المعتز إلى الدخول في طاعة المستعين^(٣) وأمر محمد بن عبد الله بكسر القناطر وشق المياه بسطوح الأنبار وبادوريا ليقطع الأتراك عن الأنبار، وكتب المستعين (٢٤٨-٢٥٢/هـ ٨٦٢-٨٦٦م) والمعتز إلى

(١) الشماسية: بفتح أوله، وتشديد ثانيه ثم سين مهملة، وهي بالعراق، وهي منسوبة لبعض شماسي النصاري؛ وهي مجاورة لدار الروم التي أعلى مدينة بغداد، وإليها ينسب باب الشماسية، كان المعتصم خرج من بغداد يرى موضعا لمدينة بينيها فمر بالشماسية، هي خارج بغداد فضاقت عليه ولم يرضها حتى أتى موضع سر من رأى فأرضاه، فابتدأ بناءها، والشماسية أيضا محلة بدمشق، (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٦١، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٤٥).

(٢) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٢٨٧، ابن الجوزي: المنتظم، ج١٢، ص٤٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٧.

(٣) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٢٨٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٧، عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٦٣.

موسى بن بغا^(١) كل واحد منهما يدعوهُ إلى نفسه وكان بأطراف الشام كان خرج لقتال أهل حمص فانصرف إلى المعتز وصار معه، وجاء عبد الله بن بغا الصغير من سامراء إلى المستعين وكان قد تخلف بعد أبيه أياماً ثم هرب إلى سامراء فاعتذر إلى المعتز وقال: إنما قدمت لأموت تحت ركابك فأقام ببغداد أياماً ثم هرب إلى سامراء فاعتذر إلى المعتز وقال: إنما سرت إلى بغداد لأعلم أخبارهم وأتيك بها فقبله المعتز وردّه إلى خدمته، وورد الحسن بن الأفشين بغداد لأعلم أخبارهم وأتيك بها فقبله المعتز وردّه إلى خدمته، ورد الحسن بن الأفشين بغداد فخلع عليه المستعين وضم إليه جمعا من الأشروسنية وغيرهم^(٢) .

- حصار المستعين ببغداد ٢٥١هـ/٨٦٥م

قام المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م) بتولية أخيه أبي أحمد بن المتوكل (الموفق) أمور الحرب على المستعين ومحمد بن عبد الله وضم إليه الجيش وجعل التدبير إلى كلبانكين التركي^(٣) فسار في ٥٠٠٠٠ من الأتراك والفراغنة و ٢٠٠٠ من المغاربة وذلك لسبع بقين من المحرم^(٤)، وعندما وصل كعبرا خطب للمعتز وذكر أهل كعبرا أنهم كانوا خائفين من مسير محمد بن عبد الله إليهم ومحاربتهم فانتهبوا القرى ما بين كعبرا و بغداد وخربت اضياع وأخذ الناس في الطريق، ولما

(١) موسى بن بغا: أحد قواد المتوكل الذين قدموا معه لدمشق، توفي موسى بن بغا سنة ٢٦٤هـ، توفي عام ٢٦٤هـ في خلافة المعتمد (المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، ص١٦٥، ابن منظور (ت:٦٣٠هـ): محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لأبن عساكر، ط١، تحقيق: مأمون الصاغري، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م، ج٢٥، ص٢٨٣).
(٢) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٢٨٩، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٦٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٧، عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٦٣ .

(٣) كلبانكين: ذكر ابن منظور في تاريخ دمشق باسم كلبانكين التركي، تولى أمر دمشق في أيام المتوكل بعد الفتح بن خاقان، وذلك عام ٢٨٤هـ، (ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٦٨، منظور: تاريخ دمشق، ج٢١، ص٢٠٩) .

(٤) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٢٩٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٧-١٦٨ .

وصل أبو أحمد إلى كعبرا هرب إليه جماعة كبيرة من أصحاب بغا الصغير، ووصل أبو أحمد وعسكره باب الشماسية في السابع من صفر، وعندما نزل أبو أحمد باب الشماسية ولى المستعين (٢٤٨-٢٥٢/هـ ٨٦٢-٨٦٦م) باب الشماسية الحسين بن إسماعيل وكان تحت يده من هناك من القواد وكانت هذه المدة فترة حرب بين الطرفين إلى أن ساروا إلى الأنبار^(١).

وفي العاشر من شهر صفر وصلت طلائع الأتراك إلى باب الشماسية فوقفوا بالقرب منه فوجه محمد بن عبدالله الحسين بن إسماعيل، والشاه بن ميكال، وبندار الطبري فيمن معهم وعزم على الركوب لقتالهم فجاءه الشاه وأخبره بأن الأتراك لما رأوا الأعلام والرايات قد أقبلت تجاههم رجعوا إلى معسكرهم فترك محمد الركوب، وفي اليوم التالي وجه محمد بن عبد الله الجيوش إلى القفص ليعرضهم هناك وليهرب الأتراك وركب معه وصيف، وبغا في الدروع ومضى معه الفقهاء والقضاة، وبعث إليهم يدعوهم إلى الرجوع عن تمردهم ووعدهم بالأمان بشرط أن يكون المعتز ولي العهد بعد المستعين فلم يجيبوه، وسار نحو باب قطربل ونزل على شاطئ دجلة هو ووصيف وبغا ولم يمكنه التقدم لكثرة الناس فانصرف، وفي اليوم التالي جاءه رسل وجه الفلس وغيره من القواد يعلمونه أن الترك قد اقتربوا وضربوا مضاربهم برتقة الشماسية^(٢).

وطلب محمد من جنوده ألا يبدؤا القتال حتى وإن قاتلوهم لا يقاتلونهم وادفعوهم اليوم، فأتى باب الشماسية منهم ١٢ فارسا فرموهم بالسهم ولم يقاتلهم أحد فلما طال مقامهم رماهم المنجنيقي بحجر فقتل منهم رجلا فأخذوه ورجعوا^(٣). وأتى عبيد الله بن سليمان خليفة وصيف التركي من مكة في ٣٠٠ رجل فخلع عليه محمد بن عبدالله، ووصل الأتراك في هذا اليوم باب الشماسية فخرج الحسين بن

(١) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٢٩٤، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٦٨،

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٨.

(٢) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٢٩٥، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٧٢،

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٨.

(٣) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٢٩٦، ٢٩٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٨، ١٦٩.

إسماعيل ومن معه من القواد لمحاربتهم فإقتتلوا وقتل من الفريقين وجرح وكانوا في القتلى والجرحى على السواء وانهزم أهل بغداد وثبت أصحاب البواري ثم انصرفوا، وأحضر الأتراك منجنيقا فأخذهم منهم العامة، ثم سار جماعة من الأتراك إلى ناحية النهروان فوجه محمد بن عبدالله قائدين من أصحابه وأمرهما بالمقام بتلك الناحية وحفظها من الأتراك فسار إليهم الأتراك فقاتلوهم فانهزم أصحاب محمد إلى بغداد وأخذت دوابهم فدخاوا بغداد منهزمين، ووجه الأتراك برؤوس القتلى إلى سامراء وإستولوا على طريق خراسان وانقطع الطريق عن بغداد^(١) .

وفي ١٢ صفر وجه المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م) جزء من جيشه في الجانب الغربي فساروا إلى بغداد وجازوا قطربل فضربوا عسكرهم هناك، وفي اليوم التالي وجه محمد بن عبدالله مجموعة من جنوده إليهم فلقبهم الشاه بن ميكال، فتحاربوا فانهزم أصحاب المعتز وخرج عليهم كمين لمحمد بن عبدالله فانهزموا، ووضع أصحاب محمد فيهم السيف فقتلوا أكثرهم ولم يفلت منهم إلا القليل ونهب عسكرهم جميعا، ومن سلم من القتل ألقى نفسه في دجلة؛ ليعبر إلى عسكر أبي أحمد فأخذ أصحاب السفن وحملوا الأسرى والرؤوس في الزواريق فنصب بعضها ببغداد، وكافئ محمد في هذا اليوم لمن أبلى بالأسورة، والخلع، والأموال، وطاردوا المنهزمون فهرب بعضهم لمدينة أوانا وبعضهم سار لمدينة سامراء^(٢) .

وبلغ عدد عسكر المعتز ٤٠٠٠ جندي فقتل منهم ٢٠٠٠ وغرق منهم جماعة وأسر جماعة، فخلع محمد على جميع القواد على كل قائد أربع خلع، وطوق، وسوار منذهب، وكان عود أهل بغداد عنهم في المغرب وكان أكثر العمل في هذا اليوم للعيارين^(٣) .

(١) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٣٠٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٩،
الكتبي(ت:٧٦٤هـ): محمد بن شاعر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: الدكتور إحسان
عباس، دار الصادر، بيروت، ١٩٧٣م، مج١، ص١٤٠ .
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٩، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم،
ج٤، ص١٥٠ .

(٣) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٣٠٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٩، ١٧٢ .

وركب محمد بن عبدالله لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر إلى الشماسية فأمر بهدم ماوراء سورها من الدور والحوانيت والبساتين من باب الشماسية إلى ثلاثة أبواب ليتسع على من يحارب، وأتى مال من فارس والأهواز مع منكجور الأثروسني فوجه أبو أحمد الأتراك لأخذه، فوجه محمد بن عبدالله جماعة لحفظ المال فابتعدوا به عن الأتراك فقدموا به بغداد، فلما علم الأتراك بذلك اتجهوا نحو النهروان^(١) فقتلوا وأحرقوا سفن الجسر وبلغت ٢٠ سفينة ورجعوا إلى سامرا^(٢).

وقدم محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد وكان متولي أمور الثغور الجزرية من قبل المستعين (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م)، وكان بمدينة بلد ينتظر الجنود والمال ليسير إلى الثغور وعندما علم ماحدث مع المستعين والأتراك سار من بلد إلى بغداد عن طريق الرقة في أصحابه وخاصته، ومعه نحو ٤٠٠ رجل - فخلع عليه محمد بن عبدالله خمس خلع ثم وجهه في جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد فأخذ على طريق الفرات فحاربه في نفر قليل فهزم محمد وصار إلى ضيعته بالسواد فهزم^(٣).

وكان لمحمد بن خالد بن يزيد بن مزيد موقعة مع الأتراك بباب الشماسية فقاتلوا عليه قتالاً شديداً حتى كشفوا من عليه ورموا به المنجنيق بالنار والنفط فلم يحرقه ثم كثر الجند على الباب فازالهم عن موقفهم بعد قتلى وجرحى، ووجه محمد العرادات في السفن فرموهم بها رميا شديدا فقتلوا منهم نحو مائة، وكان بعض المغاربة قد صار إلى السور فرمي بكلاب فتعلق به فأخذه الموكلون بالسور ورفعوه فقتلوه وألقوا رأسه إلى الأتراك فرجعوا إلى معسكرهم^(٤).

(١) النهروان: وهي ثلاث نهروانات: الأعلى والأوسط والأسفل، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد متوسطة، وذكر حمزة الأصبهاني أنه يقبل من نواحي أنزبجان إلى جانب العراق واد جرار فيسقي قرى كثيرة ثم ينضب مابقي منه في دجلة أسفل المدائن، (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٢٥)، .

(٢) الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ٣٠٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٧٠.

(٤) الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ٣٠٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٧٠.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

وقدم جماعة من أهل الثغور في ثمانين بقين من صفر يشكون بلكاجور ويزعمون أن بيعة المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م) وردت عليه فدعا الناس إلى بيعته وأخذ الناس بذلك فمن امتنع ضربه وحبسه وانهم امتنعوا وهربوا فقال وصيف: ما أظنه إلا ظن أن المستعين مات وقام المعتز فقالوا: مافعله إلا عن عمد، فورد كتاب بلكاجور لأربع بقين من صفر يذكر أنه بايع المعتز فلما ورد كتاب المستعين بصحة الأمر جدد له البيعة وأنه على السمع والطاعة؛ فأراد موسى بن بغا أن يسير إلى المستعين فامتنع أصحابه الأتراك من موافقته على ذلك وحاربوه فقتل بينهم قتلى، وقدم من البصرة عشر سفائن بحرية في كل سفينة ٤٥ رجلا مابين نفاط وغيره فمرت إلى ناحية الشماسية فرمي من فيها بالنيران إلى عسكر أبي أحمد فانقلوا إلى موضع لا ينالهم شئ من النار، وليلة بقيت من صفر تقدم الأتراك إلى أبواب بغداد فقاتلوا عليها فقتل من الفريقين جماعة كثيرة ودام القتال إلى العصر^(١).

وفي ربيع الأول عمل محمد بن عبدالله كافركونات وفرقها على العيارين فخرجوا بها إلى الأبواب بغداد وقتلوا من الأتراك نحو خمسين رجلا، ولأربع عشرة خلت من ربيع الأول قدم مزاحم بن خاقان^(٢) من ناحية الرقة فتلقاه الناس ومعه زهاء ألف رجل فلما وصل خلع عليه سبع خلع وقلد سيفاً، ووجه المعتز عسكراً يبلغون ثلاثة آلاف فعسكروا بإزاء عسكر أبي أحمد بباب قطربل^(٣).

وركب محمد بن عبدالله في عسكره وخرج من النظارة خلق كثير فحازى عسكر أبي أحمد فكانت بينهم في الماء جولة وقتل من أصحاب أبي أحمد أكثر من ٥٠ رجلاً، ومضى النظارة فجاوزوا العسكر بحوالي ٣ كم فعبرت إليهم سفن لأبي أحمد فنالت منهم، ورجع محمد بن عبدالله وأمر ابن أبي عون برد الناس فأمرهم

(١) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٣١١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧٠، ١٧١
(٢) مزاحم بن خاقان: تركي الأصل، ولد ببغداد ونشأ فيها، تولى إمارة مصر فتتابعت في أيامه الفتن، كان شديداً صلباً، وقد أبطل كثير من البدع وعاقب عليها، توفي بمصر سنة ٢٥٤هـ، (اليقوبي: تاريخه، ج٢، ص٤٦٠، ابن تغري البردي: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٣٤٢).

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧١.

بالعود فأغلظوا له فشتمهم وشتموه وضرب رجلا منهم فقتله فحملت عليه العامة فانكشف من بين أيديهم؛ فأخذ أصحاب أبي أحمد أربع سفن وأحرقوا سفينة فيها عرادة لأهل بغداد، وسار العامة إلى دار ابن أبي عون لينهبوها و قالوا : مايل الأتراك فأوقع بهم ونشبت الحرب بينهم وقتل بينهما جماعة، واندفع أصحاب محمد قليلا إلى باب قطربل والأتراك معهم فخرج الناس إليهم فدفعوا الأتراك حتى نحوهم ثم رجعوا إلى أهل بغداد فقتلوا منهم خلقا كثيرا وقتل من الأتراك أيضا خلق كثير، ثم تقدم الأتراك إلى باب القطيعة فنقبوا السور فقتل أهل بغداد أول خراج منه وكان القتل ذلك اليوم أكثره في الأتراك والجراح بالسهم في أهل بغداد^(١) .

ونذب عبد الله بن عبد الله بن طاهر الناس فخرجوا معه وأمر الموكل بباب قطربل أن لا يدع منهزما يدخله ونشبت الحرب فانهزم أصحاب عبدالله وثبت أسد بن داود حتى قتل، وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشد من الأتراك فأخذوا منهم الأسرى وقتلوا فأكثرُوا وحملوا الأسرى والرؤوس إلى سامراء فلما قربوا منها غطوا رؤوس الأسرى، فلما رآهم أهل سامراء بكوا وضجوا وارتفعت أصواتهم وأصوات نسائهم فبلغ ذلك المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م) فكره أن تغلظ قلوب الناس عليه فأمر لكل أسير بدينار وأمر بالرؤوس فدفنت، وقدم أبو الساج من طريق مكة لأربع بقين من ربيع الأول فخلع عليه، وفي سلخ ربيع الأول جاء نفر من الأتراك إلى باب الشماسية ومعهم كتاب من العنز إلى محمد بن عبدالله فاستأذنه أصحابه في أخذه فأذن لهم فإذا فيه يذكره ما يجب عليه من حفظ العهد القديم فإن الواجب عليه أنه كان أول من يسعى في أمره ويؤكد خلافته فما رد عليه محمد جواب الكتاب^(٢) .

وكانت واقعة بينهم لسبع خلون من ربيع الآخر قتل من الأتراك ٧٠٠ ومن أصحاب محمد ٣٠٠، وفي منتصف ربيع الآخر أمر أبو الساج، وعلي بن فراشة، وعي بن حفص بالمسير إلى المدائن فقال أبو الساج لمحمد بن عبدالله: إن كنت تريد

(١) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٣١٦، ٣١٥، ابن مسكويه: تجارب الأمم وعاقب الهمم، ج٤، ص١٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧١، ١٧٢ .

(٢) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٣١٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧٢ .

الجد مع هؤلاء القوم فلا تفرق قوادك واجمعهم حتى تهزم هذا العسكر المقيم بإزائك، فإذا فرغت منهم فما أقدرك على من بعدهم فقال: إن لي تدبيراً ويكفي الله إن شاء الله، فقال أبو الساج: السمع والطاعة وسار إلى المدائن وحفر خندقها وأمدّه محمد ٣٠٠٠ فارس و ٢٠٠٠ راجل، وكتب المعتز إلى أخيه أبي أحمد يلومه للتقصير في قتال أهل بغداد^(١).

القتال بين جيش المستعين والمعتز في الأنبار

أرسل محمد بن عبد نجوبة بن قيس فأقام بالأنبار وجمع بها نحو ٢٠٠٠ رجل وأمدّه محمد بن عبدالله ١٥٠٠ وشق الماء من الفرات إلى خندق الأنبار ففاض على الصحارى فصار بطيحة^(٢) واحدة وقطع القناطر، وسير المعتز جنداً مع علي

(١) الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ٣٢١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٧٢.
(٢) البطيحة: مفرد البطائح، بالفتح ثم الكسر، وهى أرض واسعة بين واسط والبصرة، وسميت بذلك بطائح واسط لأن المياه تبطح فيها أي سالت واتسعت في الأرض، وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة، وفي أيام كسرى أبرويز زادت دجلة زيادة شديدة وزاد الفرات فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع فطرد أهلها عنها، وعندما إستقرت الدولة الإسلامية دخل العمال البطائح على السفن لكثرة مواضع البثوق وتغلب الماء على النواحي وبنوا في النواحي العالية التي لم يصل إليها الماء القري وسكنها قوم وزرعوا فيها الأرز، والبطائح هى المنطقة الواقعة جنوبي العراق حيث الأهوار والمستنقعات التي تغذيها مياه نهري دجلة والفرات وتوابعهما، وتقع تقريباً بين واسط شمالاً والبصرة جنوباً، ولذلك تسمى ببطائح واسط أو بطائح البصرة، وإختلف الجغرافيون في تحديد مساحة البطائح فمنهم من ذكر النويري أنها أقل من مساحة واسط بنحو ١٢٠ إلى ١٨٠ كم ، ولكن ذكر ياقوت أنها المنطقة الواقعة بين واسط والبصرة وانها ماء لايري طرفاه من سعته، (أبي زكريا الأزدي (ت: ٣٣٤هـ): أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدي، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، أشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، الكتاب الثالث عشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٤١٧، ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ): شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج ١، ص ٤٥١، ٤٥٠، النويري (ت: ٧٣٣هـ): شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط ١، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، عماد علي حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٢٦٩، المقدسي (ت: ٩٩٠هـ): محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ١، تعليق: شاكر لعبي، دار السويدي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ص ١١٩، كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٦٦).

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

الإسحاقي نحو الأنبار فوصلوا ساعة وصلها مدد محمد وقد نزلوا ظاهرا فإقتتلوا أشد قتال فانهزم مدد محمد بن عبدالله ورجعوا فإقتتلوا اشد قتال فانهزم مدد محمد بن عبدالله ورجعوا في الطريق الذي جاؤوا فيه إلى بغداد، وكان نجوبة بالأنبار لم يخرج منها فلما بلغه هزيمة مدده ومسير الأتراك إليه عبر إلى الجانب الغربي وقطع الجسر وسار نحو بغداد.

فاختار محمد بن عبدالله انفاذ الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم إلى الأنبار في جماعة من القواد والجند فجهزهم وأخرج لهم رزق أربعة أشهر، وخرج الجند وعرضهم الحسين وسار عن بغداد يوم الخميس لسبع بقين من جمادي الأولى وتبعه الناس والقواد، وبنو هاشم إلى الياسرية^(١)، وكان أهل الأنبار لما دخلها الأتراك قد أمنوهم ففتحوا دكاكينهم وأسواقهم ووافاهم سفن من الرقة تحمل الدقيق والزيت وغير ذلك، فانتهبها الأتراك وحملوها إلى منازلهم بسامراء ووجهوا بالأسرى وبالرؤوس معها^(٢).

سار الحسين حتى نزل دمما^(٣) ووافته طلائع الأتراك فوق دمما فصف أصحابه مقابل الأتراك بينهما نهر وكان ١٠٠٠٠ رجل، وكان الأتراك زهاء ١٠٠٠ رجل فتراموا بالسهم فجرح بينهم عدد وعاد الأتراك إلى الأنبار، وتقدم الحسين فنزل

(١) الياسرية: سميت بذلك نسبة لرجل، وهى قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى، بينها وبين بغداد ميلان، (ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٧٨).

(٢) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٣٢٤، ٣٢٣، ابن مسكويه: تجارب الأمم وعاقب الهمم، ج٤، ص١٧٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧٣، ١٧٤.

(٣) دمما: بكسر أوله وثانيه، قرية كبيرة على الفرات قرب بغداد عند الفلوجة، وذكر أبو حنيفة الدينوري أن دمما قرية كبيرة على فم نهر عيسى قرب الفرات، تقع بين بغداد والأنبار، وذلك قبل أن تبنى بغداد، وإنما كانت قرية، يقوم بها سوق في كل شهر مرة فأقام قطبة معسكرا بها، وهناك قطرة كبيرة على نهر عيسى تسمى دمما نسبة لقرية دمما، (أبو حنيفة الدينوري (ت: ٢٨٢هـ): أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، منشورات الشريف الرضي، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٣٦٨، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٧٧، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٧١، كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٩٢).

بمكان يعرف بالقطيعة واسع يحمل العسكر فأقام فيه يومه، ثم عزم على الرحيل إلى قرب الأنبار فأشار عليه القواد أن ينزل عسكره هذا المكان بالقطيعة لسعته وحصانته ويسير هو وجنده جريدة فإن كان الأمر له كان قادرا على نقل عسكره وإن كان عليه رجع إلى عسكره وعاود عدوه فلم يقبل منهم، وسار من مكانه فلما بلغ المكان الذي يريد النزول به أمر الناس بالنزول، فأنت جواسيسهم وأعلموهم بمسيره وضيق مكانه، فأتاهم الأتراك والناس يحطون أثقاليهم فثار أهل العسكر وقاتلوهم فقتل بينهم قتلى من الفريقين، وحمل أصحاب الحسين عليهم فقتلوهم منهم الكثير وغرق منهم خلق كثير.

وكان الأتراك قد عملوا لهم كمينا فخرج الكمين على بقية العسكر فلم يكن لهم ملجأ إلا الفرات وغرق من أصحابه خلقا كثير وقتل جماعة وأسروا جماعة، وأما الفرسان فهربوا لا يلوون على شئ والقواد ينادونهم الرجعة فلم يرجع أحد فخافوا على نفوسهم فرجعوا يحمون أصحابهم، وأخذ الأتراك عسكر الحسين بما فيه من الأموا والخلع التي كانت معه، وسلم ماكان معه من سلاح في السفن لأن الملاحين حذروا السفن فسلم مامعهم من سلاح وغير ذلك، ووصل المنهزمة إلى الياسرية لست خلون من جمادي الآخرة، ولقي الحسن رجل من التجار ممن ذهبت أموالهم فقال: الحمد لله الذي بيض وجهك أصعدت في اثني عشر يوما وانصرفت في يوم واحد فتغافل عنه^(١).

ولما وصل خبر الهزيمة لمحمد بن عبدالله بن طاهر منع المنهزمين من دخول بغداد ونادى من وجدناه في بغداد من عسكر الحسين بعد ثلاثة أيام ضرب ثلاثمائة سوط وأسقط من الديون، فخرج الناس إلى الحسين بالياسرية وأخرج إليهم ابن عبد الله جندا آخر وأعطاهم الأرزاق، وأمر الناس ليعلم من قتل ومن غرق ومن سلم ففعلوا ذلك، وأتاهم كتاب بعض عيونهم من الأنبار يخبرهم أن القتلى كانت من الترك

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧٤، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ح٤،

أكثر من ٢٠٠ والجرحى نحو ٤٠٠ وأن جميع من أسره الأتراك ٢٢٠ رجلا وأنه عد رؤوس القتلى فكانت ٧٠ رأسا وكانوا أخذوا جماعة من أهل الأسواق فأطلقوهم . فرحل الحسين لأثنتي عشرة بقية من جمادى الآخرة وسار حتى عبر نهر أريق، فلما كان السبت لثمان خلون من رجب أتاه إنسان فأعلمه أن الأتراك يريدون العبور إليه في عدة مخاضات فضربه ووكل بمواضع المخاض رجلا من قواده يقال له: الحسين بن علي بن يحيى الأرمني في ٢٠٠ رجل، فأتى الأتراك المخاضة فرأوا الموكل بها فتركوها إلى مخاضة أخرى فقاتلوهم، وصبر الحسين بن علي وبعث إلى الحسين بن اسماعيل أن الأتراك قد وافوا المخاضة فقبل للرسول: الأمير نائم فارسل آخر فقبل له: الأمير في المخرج فارسل آخر فقبل: الأمير قد عاد نام، فعبر الأتراك فقعد الحسين بن علي في زورق وانحدر وهرب أصحابه منهزمين، وقتل الأتراك منهم وأسروا نحو ٢٠٠ وانحدرت عامة السفن فسلمت، ووضع الأتراك السيف وغرق خلق كثير من الناس فوصل المنهزمون بغداد نصف الليل ووافى بقيتهم في النهار، واستولى الأتراك على أثقالهم وأموالهم، وقتل عدة من قواد الحسين^(١) ثم قامت بين الفريقين عدة مواقع وقتل فيها جماعة، ودخل الأتراك في بعض هذه الحروب إلى بغداد ثم تكاثر الناس عليهم فأخرجوهم منها، وجرى بين أبي الساج وجماعة من الأتراك وقعة هزمهم أبو الساج، ثم واقعه أخرى فتخلى عنه بعض أصحابه فانهزم ودخل الأتراك المدائن، وخرجت الأتراك الذين بالأنبار في سواد بغداد من الجانب الغربي حتى بلغوا صرصر^(٢)، وقصر ابن هبيرة^(٣) .

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧٥، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٧٧ .

(٢) صرصر: تقع على بعد ١٢ كم من الكرخ، وبها جسر من المراكب يعبر عليه طريق الكوفة، وايضا هناك نهر يعرف بصرصر ومصبه فوق المدائن بنحو ٢٤ كم، (كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٩٣) .

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧٥، ١٧٦، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص١٨٠ .

وفي ذي القعدة كانت موقعة عظيمة خرج محمد بن عبدالله بن طاهر في جميع القواد والعسكر ونصب له قبة وجلس فيها واقتتل الطرفين قتالاً شديداً فانهمزمت الأتراك ودخل أهل بغداد عسكرهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وهربوا على وجوههم لا يلوون على شئ فكلما جيء برأس يقول بغا: ذهبت الموالى وساء ذلك من مع بغا ووصيف من الأتراك، ووقف أبو أحمد بن المتوكل يرد الأتراك ويخبرهم أنهم إن لم يرجعوا لم يبق لهم بقية، وتبعهم أهل بغداد إلى سامراء فترجعوا إليه، وأن بعض أهل بغداد رجعوا عن المنهزمين فرأى أصحابهم أعلامهم فظنوا أعلام الأتراك قد عادت فانهمزموا نحو بغداد مزدحمين، وتراجع الأتراك إلى عسكرهم ولم يعلم بهزيمتهم أهل بغداد فتحملوا عليهم، وفي ذي الحجة وجه أبو أحمد خمس سفائن مملوءة طعاماً ودقيقاً إلى ابن طاهر^(١).

وفي ذي الحجة علم الناس بما عليه ابن طاهر من خلع المستعين والبيعة للمعتز ووجه قواده إلى أبي أحمد فبايعوه للمعتز، وكانت العامة تظن أن الصلح جرى على أن الخليفة المستعين والمعتز ولي عهده، وفي ذي الحجة أيضاً خرج رشيد بن كاوس أخو الأفسشين - وكان موكلًا بباب السلامة - إلى الأتراك وسار معهم إلى أبي حامد ثم عاد إلى أبواب بغداد يقول للناس: إن أمير المؤمنين المعتز، وأبا أحمد يقرآن عليكم السلام ويقولان: من أطاعنا وصلناه ومن أبى فهو أعلم فشتمه الناس وعلموا بما عليه محمد بن عبدالله بن طاهر.

فعبرت العامة إلى الجزيرة التي حذاء داره فشتموه أقبح شتم ثم ساروا إلى باب داره فلم يجدوا ناراً، وبات منهم الجزيرة جماعة يشتمونه وهو يسمع، وفي اليوم التالي سار محمد إلى المستعين (٢٤٨-٢٥٢/٥٨٦٢-٨٦٦م) وطلب منه أن يخرج إليهم ويسكنهم، فخرج إليهم المستعين وطمأنهم بأن محمداً لم يخلع ولم أتهمه ووعدهم أن يصلي بهم الجمعة فأنصرفوا، ثم ترددت الرسل بين محمد بن عبدالله وبين أبي أحمد مع حماد بن اسحاق بن حماد بن يزيد، وثار قوم من رجاله الجند وكثير من

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧٦، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤،

العامة فطلب الجند أرزاقهم وشكت العامة سوء الحال وغلاء الأسعار، وطلبوا منه الخروج إليهم ، واتهم محمد بن عبد الله أنه خلع المستعين وباع للمعتز فخرج محمد بن عبد الله للناس وأنكر ذلك وطلبوا منه إخراج الخليفة المستعين إليهم فخرج الخليفة، فطلبوا منه الخروج من دار محمد لأنهم لا يأمنوا عليه، فانتقل المستعين إلى دار رزق الخادم بالرصافة وسار بين يديه محمد بن عبد الله بالحربة^(١) .

طلب محمد بن عبد الله من المستعين التنازل له عن الخلافة حتى يستقر أمور الدولة ففعل وأشهد محمد الفقهاء والقضاة على المستعين أنه صير إليه أمر الخلافة، ثم بعث ابن طاهر إلى قواده ليوافوه ومع كل قائد عشرة نفر من وجوه أصحابه، وأمرهم بالخروج إلى المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م) في الشروط التي شرطها المستعين لنفسه ولقواده ليوقع عليها المعتز، فأجابه المعتز غلى ما طلبوا ووجه معهم من يأخذ البيعة على المستعين، وأرسل إلى المستعين أمه وعياله بعدما فتشوا وأخذوا ما معهم، وكان دخول الرسل بغداد عند المعتز لست خلون من المحرم سنة ٢٥٢م^(٢) .

الفتنة بين جند بغداد ومحمد بن عبد الله سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م

وفي هذه السنة كانت وقعة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر، وكان سبب هذه الفتنة إجتماع الشاكرية وأصحاب القروض في دار محمد يطلبون أرزاقهم في رمضان، فأخبرهم بأنه طلب من الخليفة ذلك، فأجاب: إن كنت تريد الجند لنفسك فأعطهم أرزاقهم وإن كنت تريد لهم لنا فلا حاجة لنا فيهم، فشغبوا عليه وأخرج لهم ٢٠٠٠ دينار ففرقها بينهم فسكتوا، ثم إجتمعوا في رمضان أيضا ومعهم الأعلام والطبول وضربوا الخيام على باب حرب وعلى باب الشماسية وغيرهما وبنوا بيوتا من بواري وقصب وباتوا ليلتهم فلما أصبحوا كثر جمعهم، وأحضر محمد أصحابه فباتوا في داره وشحن داره بالرجال، واجتمع إلى أولئك المشغبين خلق كثير بباب حرب بالسلاح والأعلام والطبول ورئيسهم أبو القاسم

(١) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٣٢٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧٧.

(٢) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٣٢٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٧٧، ١٧٨ .

عبدون^(١) بن الموفق وكان من نواب عبيد الله بن يحيى^(٢) بن خاقان فتحهم على طلب أرزاقهم وفائتهم^(٣) .

وفي يوم الجمعة أرادوا أن يمنعوا الخطيب من الدعاء للمعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٩م) فعلم الخطيب ذلك فاعتذر بمرض لحقه ولم يخطب، فمضوا يريدون الجسر فوجه إليهم ابن طاهر عدة من قواده في جماعة من الفرسان والرجال فاقتتلوا فقتل بينهم قتلى ودفعوا أصحاب ابن طاهر عن الجسر فلما رأى اللذين بالجانب الشرقي أن أصحابهم أزالوا أصحاب ابن طاهر عن الجسر حملوا يريدون العبور إلى أصحابهم^(٤) .

وكان ابن طاهر قد أعد سفينة فيها شوك وقصب فألقى فيها النار وأرسلها إلى الجسر الأعلى فأحرقت سفنه وقطعته وصارت إلى الجسر الآخر فأدركها أهل الجانب الغربي فغرقوها، وعبر في الجانب الشرقي إلى الغربي ودفعوا أصحاب ابن طاهر إلى باب داره وقتل بينهم نحو عشرة أشخاص، ونهب العامة مجلس الشرط وأخذوا منه شيئاً كثيراً من أصناف المتاع، ولما رأى ابن طاهر أن الجند قد ظهروا على أصحابه وعباهم تعبئة الحرب خوفاً من رجعة الجند فلم يكن لهم عودة، فأتاه في بعض الأيام رجالان من الجند فولاه على عورة القوم فأمر لهما بـ ٢٠٠ دينار، وأمر الشاه ابن ميكال وغيره من القواد في جماعة بالمسير إليهم فصار إلى تلك الناحية، وكان أبو القاسم وابن الخليل - وهما المقدمان على الجند - قد خافا بمضي ذلك الرجلين وقد تفرق الناس عنهما إلى ناحية، فأما ابن الخليل فإنه لقي الشاه بن ميكال ومن معه فصاح بيهم وصاح به أصحاب محمد وصار في وسطهم فقتل، وأما أبو القاسم فإنه اختفى فدل عليه فأخذ وحمل على ابن طاهر وتفرق الجند من باب حرب ورجعوا إلى منازلهم، وقيد أبو القاسم وضرب ضرباً مبرحاً فمات منه في رمضان^(٥) رمضان^(٥) .

(١) في الطبري عبدان (الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ٣٢٧) .

(٢) عبيد الله بن يحيى بن خاقان: توفي في عام ٢٦٤هـ (ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٤، ص ٢٩٠) .

(٣) الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ٢٨٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٨٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٨٤.

(٥) الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ٣٥٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٨٤.

إستيلاء يعقوب بن الصفار على شيراز سنة ٢٥٥هـ/ ٨٣٦م

عندما علم الحسين بن علي بن شبل (والي شيراز) إستيلاء يعقوب^(١) على طوق، تأكد من مجيئه إليه، فجمع جيشه وسار إلى مضيق خارج شيراز من أحد جانبيه جبل لايسلك، ومن الجانب الآخر نهر لا يخاض، فأقام على رأس المضيق ولضيق ممره لايسلكه إلا واحد بعد واحد وهو على طرف البر وقال: إن يعقوب لا يقدر على العبور إلينا فرجع، وأقبل يعقوب حتى دنا من ذلك المضيق فنزل على ميل منه وسار وحده ومعه رجل آخر فنظر إلى ذلك المضيق والعسكر وأصحاب علي بن الحسين يسبونه - وهو ساكت - ثم رجع إلى أصحابه، فلما كان الغد الظهر سار بأصحابه حتى صار إلى طرف المضيق مما يلي كرمان^(٢) فأمر أصحابه بالنزول وحط الأثقال ففعلوا وركبوا دوابهم عريا وأخذ كلبا كان معه فألقاه في الماء فجعل

(١) يعقوب بن الليث الصفار الخارجي: رجلا من أهل سجستان، من قرية قرنين من قرى سيستان كان يعمل هو وأخوه عمرو الصفار ويظهران الزهد والتقشف، وكان مشهور بالتطوع في محاربة الخوارج، بدأ أمر يعقوب في سنة ٢٣٧هـ، وفي هذه السنة تغلب رجل من أهل بست على سجستان اسمه صالح بن النضر الكناني ومعه يعقوب بن الليث، فتغلب عليه طاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين أمير خراسان وأنقذ سجستان منه، وعندما رأى أتباع درهم ضعفه، ملكوا أمرهم ليعقوب بن الليث، (الكرديزي: زين الأخبار، ص ٢٠٢، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٤، ص ٢٠٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٩٨، ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ): أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج ٦، ص ٤٠٣،) .

(٢) كرمان: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، تقع كرمان في الإقليم الرابع، طولها تسعون درجة وعرضها ثلاثون درجة، تقع شرقها مكران وغربها فارس وشمالها خراسان وجنوبها بحر فارس، تنسب إلى كرمان بن فارس بن طهمورث، وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، ومن مدنها المشهورة جيرفت وموقان وخبيص والسيرجان ونرماسير وغير ذلك، وهي واسعة الخيرات وافرة الغلات من النخل والزرع والمواشي، وبها ثمرات الصرود والجروم والجوز والنخل، وبها معدن النوتيا، يحمل منها إلى جميع الدنيا، بها خشب لاتحرقه النار ولو ترك فيها أياما، ينبت في بعض جبالها، يأخذه الطرقيون ويقولون: أنه من الخشب الذي صلب عليه المسيح، (البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ٤، ص ١١٢٥، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٤، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٤٧، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٤٩١) .

يسبح إلى جانب عسكر علي بن الحسين - وكان علي بن الحسين وأصحابه قد ركبوا ينظرون إلى فعله ويضحكون منه - وألقى يعقوب نفسه وأصحابه في الماء على خيلهم وبأيديهم الرماح يسرون خلف الكلب، فلما رأى علي بن الحسين أن يعقوب قد قطع عامة النهر تحير في أمره وانتفض عليه تدبيره، وخرج أصحاب يعقوب من وراء أصحاب علي فلما خرج أوائلهم هرب أصحابه إلى مدينة شيراز لأنهم كانوا محاصرون إذا خرج يعقوب وأصحابه بين جيش يعقوب والمضيق ولا يجدون ملجأ فانهزموا فسقط علي بن الحسين عن دابته ، فأخذ أسيرا وأتي به إلى يعقوب فقيده وأخذ كل ما في عسكره ثم رحل من موضعه ودخل شيراز ليلا فلم يتحرك أحد، فلما أصبح نهب أصحابه دار علي ودور أصحابه وأخذ ما في بيوت الأموال وجبي الخراج ورجع إلى سجستان^(١) .

وقيل أنه جرى بين يعقوب الصفار وبين علي بن الحسين بعد عبوره النهر حرب شديدة، وذلك أن علياً قد جمع عنده جمعا كثيرا من الموالي، والأكراد، وغيرهم بلغت عدتهم ١٥٠٠٠ بين فارس وراجل فعبى أصحابه ميمنة وميسرة وقلبا ووقف هو في القلب، وأقبل الصفار فعبر النهر فلما صار مع علي على أرض واحدة حمل هو وعسكره حملة واحدة على عسكر علي فثبتوا لهم ثم حمل ثانية فأزالهم عن مواقعهم وصدقهم في الحرب فانهزموا على وجوههم لا يلوي أحد على أحد، وتبعهم علي يصيح بهم ويناشدهم الله ليرجعوا أو ليقفوا فلم يلتفت إليه أحد، وقتل الرجالة قتلا ذريعا، وأقبل المنهزمون إلى باب شيراز مع العصر فازدحموا في الأبواب ففترقوا في نواحي فارس وبلغ بعضهم في هزيمته إلى الأهواز.

(١) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٣٦٠، ٣٥٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٩٨، بيبس المنصوري الدويداري:

الجزء الخامس من زبدة الفكرة من حوادث سنة ٢٧٩ - ٥٨٩٦/ مضمن خلافة المعتز بالله والمهتدي بالله والمعتمد على الله والمكتفي بالله والمقتدر بالله وظهور القرامطة وانتهاء أمرهم وانتهاء الدكلمية وخلافة القاهرة بالله وخلعه مما حصل الاعتماد عليه والدولة السلطانية الملكية الناصرية اعز الله نصرها، المكتبة الوطنية الفرنسية، قسم المخطوطات العربية، كود رقم ١٥٧٢، ص١٢

(Bibliothèque nationale de France, Département des manuscrits Arabe 1572,)
(Bnfgallica .

فلما رأى الصفار ما لقوا من القتل أمر بالكف عنهم ولولا ذلك لقتلوا عن آخرهم وكان القتلى ٥٠٠٠ قتل، وأصاب علي بن الحسين ثلاث جراحات ثم أخذ أسيرا لما عرفوه، ودخل الصفار إلى شيراز وطاف بالمدينة ونادى بالأمان فاطمأن الناس، وعذب عليا بأنواع العذاب وأخذ من أمواله ١٠٠٠ بدرة؛ وقيل: ٤٠٠ بدرة من السلاح والأفراس وغير ذلك ما لا يعد، وكتب إلى الخليفة بطاعته وأهدى له هدية جليلة، منها عشر بازات بيض وباز أبلق صيني، ومائة من مسك وغيرها من الطرائف وعاد إلى سجستان ومعه علي وطوق تحت الاستظهار فلما فارق بلاد فارس أرسل الخليفة عماله إليها^(١).

فتنة صاحب الزنج (٢٥٥هـ/٨٦٩م)

خرج صاحب^(٢) الزنج^(٣) في فرات البصرة في شوال عام (٢٥٥هـ/٨٦٩م)، ورحل صاحب الزنج من سامراء إلى البحرين وإدعى أنه علي عبدالله بن محمد بن

(١) الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ٣٨٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٩٩، بيبرس المنصوري الدويداري: الجزء الخامس من زبدة الفكرة، ص ١٣، ١٤.

الجزء الخامس من زبدة الفكرة، ص ١٣، ١٤.

(٢) ذكر أبو جعفر أن اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد القيس وأمه ابنة علي بن رحيب بن محمد بن حكيم من بني رحيب بن محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة من قرى الري، وكان يقول: جدي محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة من قرى الري، وكان يقول: جدي محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن علي بن الحسين فلما قتل زيد هرب فلحق بالري ف جاء إلى قرية ورزين وأقام بها، وان أبا أبيه عبد الرحيم رجل من عبد القيس كان مولده بالطالقان وقدم العراق واشترى جارية سندية وأولدها محمدا أباه، وكان يمدح بشعره حاشية المنتصر وينفق على بيته من النقود التي يصدقها عليه الذين يمدحهم، (الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ٤١٠، القيرواني ت (٤٥٤هـ): لأبي إسحاق إبراهيم على الحصري، ذيل زهر الآداب أو جمع الجواهر في الملح والنوادر، القاهرة، مصر، ص ١٥٤، ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ): أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٥١، السمعاني (ت: ٥٦٢هـ): أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، الأنساب، ط ١، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مطبعة دائرة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٧٧م، ج ٣، ص ١١٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٠٧، ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ): أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج ١، ص ٢٨١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٤٠، محسن الأمين: أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار الثقافة للطبوعات، بيروت، دت، ج ٣، ص ١١٩).

(٣) يقال الزنج أو الزنج لغتان: بفتح الزاي أو كسرهما، مقتبسة عن زنك الفارسية، ومعناها الحبشة، فهي تطلق على الأرقاء السودان الذين كان يؤتى بهم من شرقي أفريقيا خصوصا الحبشة

الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب^(١)، فكثر أتباعه من أهلها حتى أنه جبي منهم الخراج و أطاعوه، وقامت الفتنة بينهم وبين السلطان بسببه وقتل كثير منهم؛ لذلك رحل إلى الأحساء ومعه جماعة من أهل البحرين منهم يحيى بن محمد الأزرق البحراني، وسليمان بن جامع وهو قائد جيشه، فسار بهم إلى موضع يسمى الردم بالبحرين وكانت بها موقعة عظيمة هزم فيها وقتل بها الكثير من أصحابه وتفرقت عنه العرب^(٢).

سار صاحب الزنج إلى البصرة عام ٢٥٤هـ بعد تفرق العرب عنه، وإتبعه جماعة كثيرة منهم علي بن أبان المهلبى، وطمع في أن تميل إليه إحدى الطائفتين الموجودين بالبصرة (البلالية والسعدية) ولكنهم رفضوا دعوته؛ لذلك سار لبغداد مع أصحابه وأقام بها سنة، وأخرج رؤساء البلالية والسعدية أتباع صاحب الزنج من السجون، فرجع إلى البصرة في رمضان عام ٢٥٥هـ ومعه جمع من أتباعه^(٣).

=للعمل في الأراضي الزراعية، وهم جيل من السود وهم الزنوج وأحدهم: زنجي وزنجي،) لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ت(٥٧١١) (ط٣)، دار الصادر بيروت لبنان، سنة ٢٠٠٤م، مادة (زنج)، أميرة رضا فرحات: الزنج وثورتهم المنسية، دار الحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١١م، ص١٦، ١٥، فائزة إسماعيل أكبر: البطائح تحت نفوذ عمران بن شاهين، ص٤٠، ٤٠.

(١) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٤١٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤١٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٤١، ٢٤٠.

(٢) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٤١٠، ٤١١، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٢٢٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٠٦، ٢٠٧، فاطمة سعيد خليفة محمد: حركة الزنج وأثارها السياسية والإقتصادية والإجتماعية على الدولة العباسية(٢٥٥- ٨٧٠/٥٢٧٠- ٨٨٣م)، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، رسالة ماجستير تاريخ، ٢٠٠٩م، ص٩١.

(٣) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٤١١، ٤١٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٤١، نافع حسين علي الدليمي: إجراءات العباسيين وحصار صاحب الزنج في البصرة ونهايته ٢٥٥-٢٧٠م، جامعة واسط، كلية التربية، ع٤٥، ج٢، تشرين الثاني، ٢٠١٢م، ص١٣٩، فائزة إسماعيل أكبر: البطائح تحت نفوذ عمران بن شاهين من حوالي ٣٣٠-٣٦٩هـ/٩٤١-٩٧٩م، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية، ص٣، ٤.

ثم جمع حوله الكثير من العبيد الذين يعملون في جمع السباخ أي أنهم يزيلون الطبقة الملحية من التربة ويستصلحونها حتى تبقى خصبة وصالحة للزراعة^(١) فأقام هناك، وتجمع إليه الكثير من غلمان أهل البصرة و السورجيين^(٢) والسودان رغبة منهم في تحسين أوضاعهم الإقتصادية حيث أنهم؛ كانوا يشتغلون بدون أجور أو مقابل أجور زهيدة مثل قوت يومهم من الشعير والسويق والتمر، وجعل صاحب الزنج قوادهم منهم، وفي ذلك الوقت كان الوالي أبو العون تولى الأبله وكور دجلة بدلا من من واسط^(٣) .

فسار صاحب الزنج من البصرة إلى المحمدية فلما نزلها جاءه أصحاب ابن أبي عون، فقام إليهم أتباع صاحب الزنج وانهزموا وكانوا ٤٠٠٠ قتل منهم جماعة كبيرة ومات بعضهم عطشا وأسر منهم وأمر بضرب أعناقهم^(٤)، وكان ليس مع صاحب الزنج وأصحابه إلا ثلاثة أسياف فحاول التسلح بنهب السلاح من القري

(١) السباخ: مفردها سبخة: وهى أرض أو التربة ذات ملح ونز، كان الزنج يعملون في جماعات في منطقة البصرة حيث توجد المستنقعات بكثرة، فكانوا يجففون تلك المستنقعات ويزيلوا الطبقة الملحية عن التربة - وهى السباخ أو الشورج- كي تصبح صالحة للزراعة، ثم ينقلون هذا الملح على البغال حيث يبيعونه، وكان بيع الملح يدر لم ربحا، أما الشورجيون فهم الذين لهم غلمان (أي لهم عمال من العبيد والأحرار) وهم الذي انتزعهم صاحب الزنج من وكلائهم وضمهم لثورته، (ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٢٢٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص٢٤١، أميرة رضا فرحات: الزنج وثورته المنسية، ص١٥، عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٧٦) .

(٢) في الطبري: "الشورجيين" بالشين المعجمة وكذا ما بعده (الطبري: تاريخه، ج٩، ص٤١٣) .
(٣) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٤١٣-٤١٥، المسعودي(ت: ٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، مراجعة كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م، ج٤، ص١٦٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٠٨، ٢٠٧، نافع حسين علي الدليمي: إجراءات العباسيين وحصار صاحب الزنج في البصرة ونهايته ٢٥٥-٢٧٠هـ، ص١٣٩، محسن الأمين: اعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار الثقافة للطبوعات، بيروت، د.ت، ج٦، ص٣٧٨.

(٤) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٤١٦، ٤١٥، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٢٢٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٠٩، ٢٠٨.

والأماكن المجاورة، وسار صاحب الزنج إلى القادسية^(١) ونهبها أصحابه بأمره، ومازال يتنقل في أنهار البصرة حتى وجد بعض السودان دار لبعض بني هاشم ووجدوا فيه سلاح فأخذوا ما وجدوه وأصبح معهم السلاح الذي يحتاجونه للقتال، وآتاه بـمكان يسمى السيب^(٢) جماعة من أهل البصرة يقاتلونه فوجه إليهم ٥٠٠ رجل بقيادة يحيى بن محمد فهزموا البصريون وغنموا منهم سلاحهم، ودارت معركة أخرى عند قرية اليهود على دجلة فهزمهم وأقام أصحابه في الصحراء^(٣).

وسار صاحب الزنج إلى قرية الجعفرية وقتل كثير من أهلها وأسر بعضهم ثم أطلق سراحهم، بعد ذلك أتى جيش كبير للبصريين مع رئيس اسمه عقيل فهزمهم

(١) القادسية: وهى مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه والقادسية والحيرة والخورنق جميعا على حافة البادية وحافة سواد العراق، والقادسية أيضا قرية كبية بالقرب من سامراء يعمل فيها الزجاج، وتقع القادسية في أطراف العراق من الغرب، سميت بالقادسية لأن قوما من أهل قادس نزلها وقادس قرية بمرور، وقيل قوما من أهل هراة قدم على كسري فأنزل له موضع بالقادسية، وقيل سميت بالقادسية لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام قدسها ودعا لها، وهى مدينة على سيف البادية، تعمر أيام الحاج ويحمل إليها كل خير، لها بابان وحصن طين، وقد شق لهم من الفرات إلى حوض على باب بغداد، وثم عيون عذيبية وماء آخر يجرونه عند باب البادية أيام الحج، بالقرب من الكوفة وبينها وبين الكوفة نحو ٩٠ كم وبينها وبين العذيب نحو ٨ كم، وبها كانت موقعة القادسية بين العرب والفرس، (البكري (ت: ٤٨٧هـ): أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ج ٣، ص ١٠٤٢، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩١، ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٥، ص ١٦٤، القزويني (ت: ٦٨٢هـ): زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار الصادر، بيروت، ص ٢٣٩، أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٢٩٩، ٢٩٣، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٢٣، ١٢٤).

(٢) السيب: ذكر ياقوت أنه كورة من كور سواد الكوفة وهما سيبان الأعلى والأسفل من طسوج سورا عند قصر ابن هبيرة، والسيب أيضا نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة، والسيب أيضا بخوارزم في ناحيتها السفلى: مواضع أو جزيرة (ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٤، ص ٢٢٩).

(٣) الطبري: تاريخه، ج ٩، ص ٤١٧، ٤١٨، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج ٤، ص ٢٢٧-٢٢٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٠٩، فاطمة سعيد خليفة محمد: حركة الزنج وأثارها السياسية والإقتصادية والإجتماعية على الدولة العباسية، ص ٩٦.

وقتل منهم خلقا كثير، وكان معهم ٣٠٠ زرنوق فهبت عليها ريح فألقتهما إلى الشط فنزل الزنج وقتلوا كل من وجدوا فيها وإستولوا على كل مافيهما، وإستولوا على هذه الزرائيق وقيدت بعضها بعض حتى أصبحت كالشاشات ثم ألقوها في الماء، وركب فيها المقاتلون وكان مع الرئيس سفن ركبها وهرب ثم أخذها صاحب الزنج وإستولى على مافيهما وقتل كثير منهم، وسار إلى القرية المعروفة بالمهلبية وأحرقها وأفسد في الأرض^(١).

ثم عبر صاحب الزنج من غربي نهر السيب إلى شرقيه، وعندما مر بالقرية فجاءه جيش ابن أبي عون من وراءه وعلى نهر يسمى الريان دارت معركة بين صاحب الزنج وقائد من قواد الأتراك يسمى أبو هلال يقود جيشا من ٤٠٠٠ مقاتل فإقتتلوا وقاتله السودان قتال شديد حتى قتلوا صاحب علمه فانهزم وقتل السودان من أصحاب أبي هلال أكثر من ١٥٠٠ رجل وأخذوا منهم أسرى فأمر بقتلهم، وأتاهم رجل ليخبرهم أن الزينبي أعد لهم الخيول والمتطوعة، والباللية، والسعدية في جيش كبير وأعدوا الحبال ليربطوا كل من يأخذونه من السودان والمقدم عليهم أبو منصور وأخذ موالي الهاشميين فأرسل علي بن أبان في ١٠٠ رجال من العبيد السود ليعرف أخبارهم فوجد طائفة منهم فهزمهم وأخذ منهم من العبيد وأرسلهم إلى علي بن أبان^(٢).

وأرسل طائفة أخرى من أصحابه فوصلوا لموقع فيه ١٩٠٠ سفينة ومعها من يحفظها فلما رأوا الزنج هربوا وإستولى الزنج على السفن وذهبوا بها لصاحبهم وكان في السفن قوم حجاج أرادوا أن يسلكوا طريق البصرة، فلما وصلوا تحدث معه قائد الزنج وأعجبهم حديثه وقالوا له لو كان معنا أموال فائضة لأقمنا معك فأطلقهم^(٣).

(١) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٤١٩، ٤٢٠، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٢٣٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٠٩.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٢٣٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٠٩.

(٣) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٤٢٥، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٢٣١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٠٩.

ودارت معركة كبيرة بين الزنج وعسكر للجيش العباسي فأتى جيش كبير بقيادة محمد بن سالم وعلي بن أبان وإختبئوا لهم في النخل وجلس صاحب الزنج على جبل مشرف على المكان وعندما ظهرت طلائع العسكر أمر صاحب الزنج بالهجوم عليهم فحملوا عليهم ولكن حملت الخيول عليهم فترجعوا حتى وصلوا للجبل الذي عليه قائداهم وقتل من الزنج الكثير فيهم فتح الحجام، وحمل الزنج عليهم حملة شديدة فهزموهم، وخرج محمد بن سالم وعلي بن أبان وحملوا عليهم فقتلوا منهم وانهزم الناس وذهبوا كل مذهب وطاردهم السودان إلى نهر بيان^(١) فوقعوا في الوحل فقتلهم السودان وغرق كثير منهم^(٢) .

وأثناء سير الزنج نحو البصرة مروا بنهر الرياحي، وهناك أتاه قوم من السودان أخبروه أنهم رأوا في الرياحي بارقة؛ حتى أمر علي بن أبان بالعبور إليهم ومعه ٣٠٠ رجل، وطلب علي بن أبان من صاحب الزنج المدد، وعندما سار علي التقى بالزنج فقاتلهم، وحمل الزنوج عليهم فهزموهم وقتلوا من أهل البصرة والأعراب نحو ٥٠٠ رجل ثم رجعوا، ثم أقبل علي بن أبان ومعه رجاله وهزموا الجيش الآخر وقتلوا منهم الكثير^(٣) .

وفي اليوم التالي غادر جيش الزنج ذلك المكان ونهى صاحب الزنج أتباعه عن دخول البصرة فتسرع بعضهم، فلقبهم أهل البصرة بجيش كبير وعرف بذلك صاحب الزنج، فأرسل إليهم محمد بن سالم وعلي بن أبان ومشرقا وجنود كثيرة فلقوا البصريين فأرسل إلى أصحابه ليتأخروا عن المكان الذي هم فيه وعندما تراجعوا هجم عليهم أهل البصرة فهزموهم وذلك عند العصر، ووقع الزنوج في نهر كبير

(١) نهر بيان: يصل دجلة العوراء بالأهواز،(عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٢٦٩).

(٢) الطبري: تاريخه، ج٩، ص٤٢٥، ٤٢٦، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٢٣١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢١٠، ٢٠٩، عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص٨٤ .

(٣) ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٢٣١-٢٣٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢١٠.

ونهر شيطان، وقتل منهم جماعة وغرق جماعة وتفرق الباقيون، ونهب أهل البصرة سفن الزنوج والتي كان بها متاعهم، وتخلف صاحبهم عنهم وبقي في نفر يسير فنجاه الله تعالى، ثم لقيهم وهم متحIRONون لفقده وطلب من أصحابه النفخ في البوق حتى يجتمع إليه الزنج ثانياً، وعندما أصبح تجمع إليه ١٠٠٠ رجل، ثم أرسل محمد بن سالم إلى أهل البصرة يعظهم ويعلمهم ما الذي جعله يخرج فقتلوه^(١).

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٤، ص٢٣١-٢٣٢، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢١١، ٢١٠.

المراجع العربية

- ابن حوقل (ت: ٣٧٧هـ): أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، المسالك والممالك، مطبع بريل، ليدن، ١٨٧٢م
- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، دار الصادر، بيروت، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٨٨٩م
- ابن رسته (ت: ٣٠٠هـ): أبو علي أحمد بن عمر ابن رسته: الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، ١٨٩٣م،
- ابن عبد الحق: مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج ١
- ابن مسكويه (ت: ٤٢١هـ): أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ط ١، ج ٤، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م،
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دارالمعارف، ج ٩، القاهرة، ١٩٦٧م
- أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ط ٢، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، المدينة المنورة، ١٩٧٧م
- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج ١
- الإصطخري: المسالك والممالك
- البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ٢
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، جدة ، ط ٣، ٢٠١٣م
- الحميري: الروض المعطار فخير الأقطار
- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

- الصفدي (ت: ٧٦٤هـ): صلاح الدين بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ط١، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ج٢، بيروت، ٢٠٠٠م،
- صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مرصد الأطلال على أسماء الأماكن والبقاع، تحقيق على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م
- عبد العزيز عبد الرحمن سعد ال سعد: الجغرافية الحضارية في المشرق الإسلامي(بلاد فارس وماوراء النهر)، ط١، الدار العربية للعلوم، لبنان، ٢٠١١م
- عبد القادر أحمد يونس محمد الزبيدي: الرحلات العلمية بين العراق والمشرق الإسلامي في القرن الثالث الهجري
- كي ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية
- محمد عبد العظيم أبو النصر الصوفي: تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب
- المقدسي (ت: ٩٩٠ هـ): محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط١، تعليق: شاكرا لعيبي، دار السويدي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م
- ياقوت الحموي(ت: ٦٢٦هـ): شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، ج٥، دار الصادر، بيروت، ١٩٧٧م
- اليعقوبي: البلدان

النيل وأثاره السياسية على مصر خلال العصر الفاطمي

(٣٥٨-٩٦٩هـ/٥٦٧-١١٧١م)

إعداد

عبد الله صالح حسب الله

المستخلص:

شهدت مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٩٦٩هـ/٥٦٧-١١٧١م) العديد من المجاعات التي ذهب ضحيتها الآلاف من المصريين، وقد اعتبر البعض أن السبب الرئيسي لهذه المجاعات يرجع إلى نقص مياه النيل، غير أن الوقائع ومنسوب الفيضان خلال هذه المجاعات ينفي ذلك، فالأسباب الحقيقية التي أجاعت مصر أيام الفاطميين أعمق من قضية الفيضان، فهناك الكثير من المجاعات وقعت في أعوام كان منسوب النيل فيها عالياً، بينما هنالك أعوام شهدت استقراراً اقتصادياً رغم انخفاض منسوب فيضان النيل، وذلك يعني أن العلاقة بين فيضان النيل والمجاعات ليست طردية، بل إن الأسباب الحقيقية كانت تكمن في طبيعة الدولة الفاطمية ونظمها، بالإضافة إلى ضعف خلفائها وفساد وزرائهم، فمصر هي هبة النيل ولا يمكن أن تعرف زراعة أو استقراراً بدونه، غير أنه وجب على كل من حكم مصر أن يحسن التعامل مع هذه الهبة لكي يُجنب شعبه الغلاء والجوع، فالنيل قديم بقدم مصر وهذه طبيعته منذ أن خلقه الله تعالى، يفيض في أعوام وينخفض في أخرى، لذلك كان لابد من البحث في النظام السياسي للدولة الفاطمية لكشف الأسباب الحقيقية التي أجاعت مصر في عهدهم، واتضح أن هذه الأسباب كانت تكمن في نظم الفاطميين وفي شخصيات خلفائهم ووزرائهم وآل بيتهم، وأساليبهم في إدارة موارد الدولة والتصرف بها، فقد وفّى النيل في سنوات كثيرة ولكن الفاطميين لم يُوفوا فكان الجوع.

Abstract:

During the Fatimid era (358-969 AH/567-1171 AD), Egypt witnessed many famines that claimed the lives of thousands of Egyptians. Some have considered that the main cause of these famines is due to the shortage of the Nile water. However, the facts and the level of flooding during these famines deny this; the real reasons that starved Egypt during the Fatimid days are deeper than the issue of flooding. Many famines occurred in years when the Nile level was high, while some years witnessed economic stability despite the low level of the Nile flood. This means that the relationship between the Nile flood and famines is not direct, but the real reasons are due to the nature of the Fatimid state and its systems, in addition to its successors' weakness and their ministers' corruption. Egypt is the gift of the Nile and cannot know cultivation or stability without it. However, everyone ruled Egypt ought to deal well with this gift to spare his people from expensiveness and hunger. The Nile is as old as Egypt, and this is its nature since Allah created it; it overflows in years and decreases in others. So that it was necessary to search in the political system of the Fatimid state to reveal the real reasons that starved Egypt during the era of their state. It became clear that these reasons lay in the Fatimid's systems and in the personalities of their successors, ministers, and household, moreover, their managing and disposing methods of the state resources. The Nile River fulfilled in many years while the Fatimid did not, so there was hunger.

المقدمة:

شهدت مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٩٦٩هـ/٥٦٧-١١٧١م) العديد من المجاعات التي ذهب ضحيتها الآلاف من المصريين، وقد اعتبر البعض أن السبب الرئيسي لهذه المجاعات يرجع إلى نقص مياه النيل، غير أن الوقائع ومنسوب الفيضان خلال هذه المجاعات ينفي ذلك، فالأسباب الحقيقية التي أجاعت مصر أيام الفاطميين أعمق من قضية الفيضان، فهناك الكثير من المجاعات وقعت في أعوام كان منسوب النيل فيها عالياً، بينما هنالك أعوام شهدت استقراراً اقتصادياً رغم انخفاض منسوب فيضان النيل، وذلك يعني أن العلاقة بين فيضان النيل والمجاعات ليست طردية، بل إن الأسباب الحقيقية كانت تكمن في طبيعة الدولة الفاطمية ونظمها، بالإضافة إلى ضعف خلفائها وفساد وزرائهم.

أولاً: أثر نهر النيل على سلطات الخليفة

تُعد السلطة المركزية مقياساً لحالة البلاد في وقت المجاعات وقد كان الخليفة الفاطمي يُمثل رأس هذه السلطة وجوهرها، فكان من الطبيعي أن تؤثر المجاعات المتعاقبة على سلطاته كما أثرت على جميع مجريات الحياة داخل المجتمع المصري^(١)، غير أن درجات هذا التأثير قد اختلفت من جانب إلى آخر ومن مجاعة إلى أخرى، بل أحدثت بعض هذه المجاعات تغييرات ضئيلة تراكت فيما بعد حتى تحولت إلى مرحلة تاريخية جديدة، حيث انقسمت الخلافة الفاطمية إلى فترتين؛ عُرفت الفترة الأولى بعصر الخلفاء الأقوياء وقد بدأت بتولي المعز لدين الله^(٢)

(١) أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، دار التضامن للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٧٥.

(٢) المعز لدين الله الفاطمي وُلد في مدينة المهديّة، وتسلم الخلافة سنة (٣٤٧هـ/ ٩٥٧م) وهو في الثالثة والعشرين من عمره، وقد انتقل من المغرب إلى مصر في عام (٣٦٢هـ/ ٩٧٢م)، وذلك بعد مُضي أربعة سنوات على احتلالها من قِبل قائده "جوهري الصقلي"، وقد مات ودُفن في القاهرة سنة (٣٦٥هـ/ ٩٧٦م) بعد أن قضى أربعة وعشرين عاماً في الخلافة. انظر عارف تامر: المعز لدين الله الفاطمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٦٧.

للخلافة عام (٩٥٢/٥٣٤١م)، أما الفترة الثانية فقد عُرفت بإسم عصر الوزراء العظام وقد بدأت بمجيء بدر الجمالي^(١) إلى مصر عام (١٠٧٤/٥٤٦٧م). وقد اعتبرت الكتابات التاريخية أن وزارة بدر الجمالي هي بداية لسيطرة الوزراء على مقاليد الحكم وانهيار سلطات الخليفة، بسبب الضعف الذي حل بالخلافة منذ بداية النصف الثاني لخلافة المستنصر بالله^(٢) (٤٢٧-٤٨٧/١٠٣٥-١٠٩٤م) نتيجة للشدة المستنصرية^(٣)، غير أنه من يبحث بعمق يجد أن نسب ضعف الخلافة الفاطمية إلى قصور فيضان النيل وحده هو تحليل فيه شيء من السطحية، وذلك لأن مركز الخلافة الفاطمية هو الذي كان يؤثر على سير أعمال ضبط النهر^(٤)، فإذا كان الخليفة قوياً كانت تتم أعمال تطهير القنوات والترع وصيانة الجسور والسدود على أكمل وجه، أما إذا كان الخليفة ضعيفاً فيتم إهمال هذه الأعمال وبالتالي تكثر حوادث

(١) أمير الجيوش بدر الجمالي هو مملوك أرمني نصراني الأصل، كان مملوكاً لجمال بن عمار لذلك عُرف ببدر الجمالي، وقد استعان به الخليفة الفاطمي المستنصر أثناء الشدة المستنصرية، وعندما نجح في إعادة الاستقرار إلى البلاد عهد إليه المستنصر بوزارة السيف والقلم ولقبه بالسيد الأجل أمير الجيوش، فأصبحت بيده سلطات مطلقة وحكم مصر لمدة ٢١ عاماً. انظر محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف الكبرى، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٣.

(٢) المستنصر بالله الفاطمي هو أبو تميم معد المستنصر بالله وُلد في مصر في عام (٤٢٠/١٠٢٩م)، وقد تولى الخلافة بعد أبيه الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله وهو في السابعة من عمره في عام (٤٢٧/١٠٣٥م)، وقد تلقب بأمير المؤمنين المستنصر بالله. انظر ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: أندريه فريه، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٦٧.

(٣) الشدة المستنصرية هو مصطلح يُطلق على المجاعة التي وقعت بمصر نتيجة لإنخفاض فيضان النيل لمدة سبع سنين متواصلة، وقد حدثت في نهاية عصر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري من تاريخ الدولة الفاطمية في مصر (٤٢٧-٤٨٧/١٠٣٥-١٠٩٤م). انظر المقرئزي: انعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج ٢، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٨٤.

(٤) سعيد عبدالفتاح عاشور: شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، مج ٦، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٦.

انهيار الجسور والسدود وتتسد الترع والقنوات بالرمال والطين مما يُعرض الأراضي الزراعية لأخطار الجفاف أو الغرق ومن ثم تحدث المجاعات^(١).

ثانياً: أثر نهر النيل على الوزارة والوزراء

يُعد تطور نظام الوزارة والقضاء في مصر هو الوجه الآخر لعملية تطور سلطات الخليفة الفاطمي، وذلك لأن موقع الوزارة من السلطة المركزية كان يتحدد (ضعفاً أو قوة) بمدى ضعف وقوة شخصية الخليفة^(٢)، فخلال فترة الخلفاء الأقوياء (٣٥٨-٤١١هـ/٩٦٩-١٠٢٠م) كانت الوزارة عبارة عن وزارة تنفيذ تقتصر فيها مهام الوزير على تنفيذ رغبات الخليفة، بينما كان الخليفة هو المتحكم الفعلي في جميع شؤون البلاد، ولكن بعد استتجاد المستنصر بالله ببدر الجمالي في عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م) بسبب الشدة المستنصرية، تحولت الوزارة إلى وزارة تفويض وأصبح يفوض فيها الخليفة إلى وزيره جميع أمور الدولة^(٣).

وقد كانت الوزارة في القرن الأول من الخلافة الفاطمية عبارة عن مجموعة من رجال الإدارة المدنية مثل الكُتاب والقُضاة والولاة وكان أغلب هؤلاء الوزراء من أهل الذمة أو المسالمة، وكانت مهمتهم تقتصر على تنفيذ أوامر الخليفة^(٤)، ولقد علا شأن هؤلاء الذميين في عهد العزيز بالله^(٥) (٣٦٥هـ/٩٧٥م) عندما تزوج من امرأة مسيحية واستحوذوا على كثير من المناصب في الدولة، ولكن عندما تولى الحاكم

(١) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٥٣.

(٢) أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، ص ٨٣.

(٣) جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٥٠.

(٤) عبدالمنعم عبد الماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٩٣.

(٥) العزيز بالله هو نزار بن معد بن اسماعيل، هو خامس الخلفاء الفاطميين والإمام الخامس عشر من أئمة الإسماعيلية، وقد تولى الخلافة في عام (٣٦٥هـ/٩٧٥م)، وكان من أهم أعماله هو إعلان وظيفة الوزير والتي لم تكن موجودة في البلاط الفاطمي من قبل. انظر علي حسني الخربوطلي: العزيز بالله الفاطمي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٣.

بأمر الله^(١) الخلافة عام (٩٩٦/٥٣٨٦م) قام بالتصدي لنفوذ الأقباط في الإدارات المختلفة وطبق عليهم الشروط العُمرية^(٢)، غير أنه اضطر إلى إلغاء هذه الشروط عندما وقعت المجاعات وسببت اضطراباً في أحوال الأداة الإدارية^(٣).

ولكن بدايةً من عهد الظاهر لدين الله^(٤) (٥٤١١/ ١٠٢٠م) نجح بعض وزراء التنفيذ الأقوياء في ممارسة مهام وزراء التفويض وابتعدوا خطوة عن كونهم مجرد مُنفذ لرغبات الخليفة، وكان على رأس هؤلاء الوزير الأجل أبو القاسم الجرجاني^(٥) الذي تولى الوزارة في عهد الظاهر سنة (٥٤١٨/ ١٠٢٧م) ونجح في أن يكون واحداً

(١) الحاكم بأمر الله هو أبي علي المنصور بن العزيز بالله وهو الخليفة الفاطمي السادس والإمام الإسماعيلي السادس عشر، وقد وُلد في مصر وخلف والده العزيز بالله في الحكم وهو في الحادية عشر من عمره في عام (٩٩٦/٥٣٨٦م). انظر محمد عبدالله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٨٦، ٨٧.

(٢) الشروط العُمرية هي شروط فرضها الحاكم بأمر الله على النصاري في مصر وتتضمن أن يلبس النصاري لباساً خاصاً بهم ولا يتشبهوا بالمسلمين، وأن يوقروا المسلمين ويقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس، وأن لا يكتنوا بكناهم، ولا يركبوا خيولهم، وأن يشدوا الزنانير على بطونهم تمييزاً لهم عن سائر الناس، وأن يقصوا مقدم رؤوسهم، ولا يُظهروا الصليب ولا شيء من كتبهم على شيء من طرق المسلمين، وأن لا يجاوروا المسلمين بموتاهم، وغيرها من عشرات الشروط التي تخالف العقل وتعاليم الإسلام. انظر ابن القيم: أحكام أهل الذمة، ج١، دار رمادي للنشر والتوزيع، الدمام، ١٩٩٧م، ص١٣٢.

(٣) القاضي رشيد بن الزبير: كتاب الذخائر والتحف، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٥٩م، ص٢٣٢.

(٣) الظاهر لإعزاز دين الله هو أبو الحسن علي ابن الحاكم بأمر الله، وهو الخليفة الفاطمي السابع والإمام السابع عشر من أئمة الشيعة الإسماعيلية، وقد وُلد في القاهرة سنة (٣٩٥/ ١٠٠٤م) وبُيع بالخلافة وهو في السادسة عشر من عمره سنة (٥٤١١/ ١٠٢٠م). انظر المقرئزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج٢، ص٦٧.

(٤) أبو القاسم الجرجاني هو نجيب الدولة علي بن أحمد الجرجاني، تولى الوزارة رسمياً في سنة (٥٤١٨/ ١٠٢٧م)، وأصبح المُسيطر على البلاد بعد موت ست الملك بالإشتراك مع أبو الفوارس معضاد ومحسن بن بدوس. انظر المقرئزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: خليل منور، ج١، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٣٥٤.

من الثلاثة الذين سيطروا على مقاليد الحكم، يليه الوزير عبدالرحمن اليازوري^(١) الذي تولى الوزارة في عهد المستنصر في سنة (٥٤٤٣هـ/١٠٥٠م)، وتمتع بنفوذ جعل منه رأساً للإدارة المدنية ورئيساً للهيئة القضائية ومُشرفاً على الدعوة الشيعية، بل إنه شارك المستنصر في حق من حقوق خلافته وهو السكة^(٢).

وقد تطور الأمر بوقوع الشدة المستنصرية وذلك حينما استدعى المستنصر بالله بدر الجمالي إلى مصر لحل الأزمة، فقد ألغى المستنصر لقب الوزير الأجل وخلع على بدر بثلاثة ألقاب مختلفة وهي أمير الجيوش وداعي الدعاة ثم الوزير^(٣)، فأحدث ذلك انقلاباً وزارياً خطيراً تحولت الوزارة بمقتضاه من وزارة تنفيذ (وزارة المدنيين) إلى وزارة تفويض (وزارة العسكريين) وأصبحت مصر تُحكم بحُكم فردي عسكري، وانتهت الوزارة بصفتها وظيفية تخدم رغبات الخليفة وأصبح الوزير هو السلطان الفعلي للبلاد^(٤)، فقد حَجَرَ بدر الجمالي على الخليفة في قصره وافقده جميع سلطاته ولم يبقَ له سوى الاسم فقط^(٥).

(١) عبدالرحمن اليازوري هو أبو الحسن محمد بن علي بن عبدالرحمن اليازوري، تولى الوزارة في عهد المستنصر سنة (٥٤٤٢هـ/١٠٤٨م) ولُقِبَ بالوزير الأجل، وقد بقي في منصبه حتى قُتل في سنة (٥٤٥٠هـ/١٠٥٨م). انظر ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبدالله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٢٤م، ص ٤٠.

(٢) السكة في اللغة هي الحديد التي يُضرب عليها النقود لتصبح ذا نقش أو كتابة، مما يجعلها صالحة للمعاملة ويسهل التعرف عليها. انظر محمود عبدالرحمن عبدالمنعم: مُعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ج ١، دار الفضيلة، (د.ت)، ص ٢٢٦.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ج ٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م، ص ١٦.

(٤) ستانلي لين بول: سيرة القاهرة، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وإدوارد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، دار كنان للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٣م، ص ٨٤.

وقد تعددت اختصاصات وزراء التفويض -بعد وفاة بدر الجمالي- واتسع نفوذهم، فبطل بذلك اسم "الوزارة" وأصبح وزير السيف الملقب بأمير الجيوش هو حاكم مصر الحقيقي^(١)، بل وصل نفوذ الوزراء إلى حد التحكم في تولية الخلفاء وقتلهم، فقد سيطر الأفضل بن بدر الجمالي^(٢) على أمور الخلافة بعد وفاة أبيه وحجر على الخليفة، حتى أنه أخذ البيعة لابن الخليفة الأصغر ولقبه بالأمير بأحكام الله^(٣) عام (٤٩٥هـ/١١٠١م)، وقد ضيق عليه الأفضل واستبد بمقاليد الحكم حتى نجح الأمر في قتله في سنة (٥١٥هـ/١١٢١م)^(٤).

وقد تجاوز بعض الوزراء ما جرت عليه العادة من الاستبداد بالأمور دون الخليفة، فعندما تولى أبو علي الأفضل كتيفات الوزارة سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م) قام بسجن الخليفة الحافظ لدين الله^(٥) (٥٢٤هـ/١١٣٠م) في قصره، وسعى إلى هدم

(١) المقرئزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٣٩٧-٤٤٠.

(٢) الأفضل بن بدر الجمالي هو أبو القاسم أحمد بن بدر الجمالي الملقب بالملك الأفضل شاهنشاه، وُلد في مصر سنة (٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، وكان أبوه بدر الجمالي وزيراً للخليفة المستنصر، وبعد موته حل الأفضل محله وبلغ مكانة عظيمة عند الخليفة، وقد تبين ذلك من الألقاب الذي حظي بها مثل السيد الأجل وأمير الجيوش وسيف الإسلام. انظر أبو المحاسن: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز، ج١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٨٣.

(٣) الأمر بأحكام الله هو أبو علي منصور بن أحمد بن المستعلي بالله، وُلد في القاهرة سنة (٤٩٥هـ/١١٠١م)، وقد قام الأفضل شاهنشاه بتتصيبه خليفة بعد وفاة أبيه ولقبه بالأمير بأحكام الله، فكان الخليفة الفاطمي العاشر والإمام العشرين للإسماعيلية المستعلية، وقد انفرد الأفضل بحكم البلاد فعَمِد الأمر إلى التخلص منه، وبالفعل قام بقتله ثم عين المأمون البطاحي مكانه وقام بقتله هو الآخر وبذلك استطاع السيطرة على حكومته حتى قتله النزارية في سنة (٥٢٣هـ/١١٢٩م). انظر خير الدين الزركلي: كتاب الأعلام، ج٧، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٢٩٧.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٨٥٨م، ص١٦٠-١٦٢.

(٥) الحافظ لدين الله هو أبو ميمون عبدالمجيد بن الأمير محمد بن المستنصر بالله، وقد بويع بالخلافة بعد مقتل ابن عمه الأمر بأحكام الله سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م) ولقب بالحافظ لدين الله، وقد

المذهب الإسماعيلي في مصر، فعين أربعة قضاة (شافعي- مالكي- إسماعيلي- إمامي) وألغى الأذان الإسماعيلي، بل ذهب كتيفات إلى أبعد من ذلك فقد أسقط اسم الخليفة واسم إسماعيل بن جعفر الصادق (الذي تُنسب إليه الإسماعيلية) وجعل الخطبة له على المنابر، كما أنه ضرب السكة الجديدة بإسمه كئائب عن الإمام المنتظر وكان ذلك بمثابة انقلاب كامل على الخلافة الفاطمية^(١).

كما عمّد الوزير نجم الدين بن مصال إلى تولية الإبن الأصغر للخليفة الحافظ بعد وفاته، فقد بايعه بالخلافة دون بقية إخوته ولقبه بالظافر بأمر الله^(٢) عام (١١٤٩/٥٥٤٤م)، وظل مسيطراً على أمور الخلافة حتى قتله العادل بن السلار في سنة (١١٥٠/٥٥٤٤م)، ويُعد قتل الخليفة الظافر من الدلائل الأخرى على السيطرة المطلقة للوزراء، فقد أمر الوزير ابن عباس ابنه نصر بقتل الخليفة الظافر في سنة (١١٥٤/٥٥٤٩م) ثم بايع أصغر أولاده بإسم الفائز بنصر الله^(٣) عام

= اضطربت أحوال الديار المصرية بخلافته وذلك لأن الأمر كان قد ترك إحدى نسائه حاملاً، فأسرع غلامي الأمر إلى ابن عمه الأمير عبدالمجيد ونصباه خليفة وبذلك انقطع نسل الأمر وآل الحكم إلى أبناء عمومته. انظر المقرئزي: اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج٣، ص١٣٥.

(١) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: إبراهيم الزبيق، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣١٢.

(٢) الظافر بأمر الله هو أبو المنصور اسماعيل ابن الحافظ لدين الله وُلد في القاهرة سنة (١١٣٣/٥٥٢٧م) وقد تولى الخلافة وهو في السابعة عشر من عمره، ولُقب بالظافر بأمر الله عام (١١٤٩/٥٥٤٤م)، وقد قام بإستوزار نجم الدين بن مصال فأثار ذلك غضب العادل بن السلار (والي الإسكندرية) فسار إلى القاهرة وقتل ابن مصال ونصب نفسه وزيراً ثم عين نصر بن عباس والياً على مصر، وقد كانت هناك علاقة صداقة تجمع بين ابن عباس والخليفة الظافر ولكن غدر نصر بن عباس بالخليفة وقتله في سنة (١١٥٤/٥٥٤٩م). انظر المقرئزي: المصدر السابق، ج٣، ص١٩٣.

(٣) الفائز بنصر الله هو أبو القاسم عيسى بن الظافر اسماعيل بن عبدالمجيد، كان الخليفة الفاطمي الثالث عشر ولكنه لم يحكم فعلياً فقد بويغ بالخلافة يوم مقتل أبوه الظافر سنة (١١٥٤/٥٥٤٩م) وكان يبلغ من العمر خمس سنوات، ووافته المنية وهو في الحادية عشر من عمره. انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٢٦.

(٥٤٩هـ/١١٥٤م)، وبعد موت الفائز أعاد الوزير طلائع بن رزيك الكرة وذلك لأن الخليفة لم يترك وريثاً له، فقام ابن رزيك بمبايعة ابن عم الفائز بالخلافة ولقبه بالعاضد لدين الله^(١) عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م).

ثالثاً: أثر نهر النيل على عناصر الجيش الفاطمي

قام الفاطميون منذ تأسيس دولتهم في شمال أفريقيا سنة (٢٩٦هـ/٩٠٨م) بإنشاء جيش قوي، وذلك لكي يحمي دولتهم ويساعدهم على مد نفوذهم داخل أراضي الدولة الإسلامية^(٢)، وقد تألف هذا الجيش من عناصر وأجناس مختلفة، كان أهمها عنصر المغاربة^(٣) الذين اعتمد عليهم المعز لدين الله في فتح مصر، وعندما تولى العزيز بالله الخلافة أدخل عناصر أخرى للجيش مثل الأتراك والديلم^(٤) عُرِفوا بطائفة المشاركة، ثم ظهر عنصر الصقالبة والسودان^(٥) في عهد الحاكم، وتضاعف عددهم

(١) العاضد لدين الله هو أبو محمد عبدالله بن يوسف بن الحافظ لدين الله، تولى الخلافة في سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) بعد موت الفائز، فكان الخليفة الفاطمي الرابع عشر وآخر ملوك الدولة الفاطمية العبيدية في مصر والمغرب. انظر خير الدين الزركلي: كتاب الأعلام، ج٤، ص١٤٧.

(٢) المقرئزي: اتعاضد الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج١، ص١٠٨-١١١.

(٣) المغاربة هم الذين قامت على أيديهم الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ثم في مصر، وكانوا يدينون بالمذهب الفاطمي، وقد اعتمد عليهم الفاطميون في الجيش وخاصة على الكتاميين منهم، واعتبروهم عصب الدولة الفاطمية وأساس قوتها في مصر، وقد كان زعيمهم هو أبو محمد الحسن بن عمار في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي. انظر السيد عبدالعزيز سالم: دراسات تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية الدولة الفاطمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص١٩٤.

(٤) الأتراك والديلم الترك هم شعوب بدوية من آسيا الوسطى، وقد انتقلوا إلى العالم الإسلامي إبان العصور الوسطى، أما الديلم فهم جند من أسرة بني بويه الديلمية الشيعية التي كانت مستقرة في جرجان وطبرستان، وقد تم استخدام عناصر الترك والديلم في الجيش الفاطمي في عهد الخليفة العزيز بالله وعُرِفوا بطائفة المشاركة. انظر المرجع نفسه، ص١٩٥.

(٥) الصقالبة والسودان هم جماعة من الزوج والعبيد كان يتم شراؤهم من تجار الرقيق، وقد كان الصقالبة من الرقيق البيض أما السودان فكانوا من الرقيق السود، وقد زاد عددهم في عهد الظاهر لأنه جلب منهم عدداً كبيراً إلى مصر إرضاءً لزوجته السودانية، وفي عهد المستنصر أصبح لهم الكلمة العليا في البلاد لأن أمه كانت جارية سوداء وكانت تقوم بمساندتهم حتى انتصر عليهم الأتراك بقيادة ناصر الدولة. انظر المقرئزي: المصدر السابق، ج١، ص١٣٧.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

في عهد المستنصر، وبعد وقوع الشدة المستنصرية انضمت عناصر أجنبية إلى الجيش الفاطمي مثل عنصر الأرمن^(١) الذين أحضرهم بدر الجمالي عندما استدعاه المستنصر إلى مصر، وعنصر الأكراد^(٢) الذين انضموا إلى الجيش بعد دخول صلاح الدين الأيوبي إلى مصر في عهد الخليفة العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين.

وقد أدى تعدد واختلاف هذه العناصر إلى التنافس والتشاحن بينهم بسبب الشعور بالطائفية أحياناً وبالعنصرية الطبقية أحياناً أخرى^(٣)، ففي عهد الخلفاء الفاطميين الأوائل كان الإعتماد الأكبر في الجيش على عناصر مغربية كتامية وذلك لأن الدولة الفاطمية قامت على أكتافهم^(٤)، ولكن عندما تسلم العزيز بالله الخلافة أخذت مكانة الكتاميين تتراجع وذلك لأنه اعتمد على الأتراك وقربهم إليه، الأمر الذي أدى إلى وقوع صراعات بين المغاربة والأتراك، مما أدى إلى إضعاف قوة الدولة الفاطمية

(١) الأرمن هم جماعة من النصارى جاءوا إلى مصر من منطقة أرمينية مع بدر الجمالي حينما استجد به المستنصر بالله، وقد ازدادت أعدادهم في الجيش الفاطمي نتيجة لهروب الكثير منهم إلى مصر بسبب خضوع بلادهم إلى الإمبراطورية البيزنطية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م، ص ١٦٠؛ مصطفى وهبة: موجز الحروب الصليبية، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٧م، ص ١٥.

(٢) الأكراد هم جماعة عرقية تتركز في غرب آسيا وجنوب شرق الأناضول في منطقة كردستان، وقد ظهر الأكراد في الجيش الفاطمي بصورة واضحة في عهد الوزير صلاح الدين الأيوبي، ومثلوا مع الأتراك نواة الجيش الأيوبي الذي حل محل الجيش الفاطمي في مصر الأيوبية. انظر القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م، ص ٤٧٨.

(٣) صفاء محمد جابر: النيل وأثاره السياسية والحضارية على مصر منذ بداية العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي الأول، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب والآثار المصرية، قسم التاريخ، ٢٠١٨م، ص ٥٣.

(٤) عبده مرعي المنتشري: النظم والتراتيب العسكرية في الجيش الفاطمي، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ٢٠١٧م، ص ٢٢.

وإذهاب هيبتها^(١)، وقد ازدادت حدة هذه الصراعات في عهد الحاكم بأمر الله مما أدى إلى ظهور شبح المجاعة في سنة (٩٨٧هـ/٩٩٧م) على الرغم من أن منسوب فيضان النيل كان قد وصل في هذه السنة إلى ستة عشر ذراعاً وأصابع^(٢)، فقد حال افتقاد الأمن خلال هذه الصراعات دون زراعة الأراضي، كما قطعت طوائف العسكر الطرق أمام الغلال التي تأتي من خارج مصر مما أدى إلى إختفاء القمح وارتفاع الأسعار^(٣).

ومع تولى الظاهر لمنصب الخلافة وقعت فتنة جديدة بين المغاربة والأتراك، وقد كانت هذه الفتنة من المسببات الرئيسية للمجاعة التي امتدت في الفترة (٤١٤-٤١٥هـ/١٠٢٣-١٠٢٤م)^(٤)، فقد بلغت طوائف العسكر حدّاً كبيراً من التمرد وعدم الإلتزام بأوامر الخليفة الذي انشغل بملذاته وشهوته، وأخذوا يقتتلون متى ما شاؤوا بدون أن يكون للخليفة عليهم أمر ولا نهى، فقلت الأقوات وانتشر الجوع على الرغم من بلوغ النيل حد الوفاء، وذلك بسبب انتشار أعمال النهب والقتل وخوف الناس من الخروج للزراعة^(٥)، فلنا أن نتصور حال مصر وحال أراضيها وأسواقها وتجارها في ظل هذه الأعداد من العسكر المتناحرين.

ومع بداية حكم المستنصر بالله وقع عدد من الفتن والحروب بين السودان والأتراك بسبب سياسة أمه في تقريب السودانيين على حساب الأتراك مما أثر على

(١) عبده مرعي المنتشري: النظم والتراتيب العسكرية في الجيش الفاطمي ، ص٢٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ج١٥، دار هجر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٤٤٦.

(٣) عمر سلهم صديق: الأزمات الاقتصادية في مصر الفاطمية، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة الموصل، قسم أصول الدين، مج٧، ع٢٧، ٢٠١١م، ص٢٣٦.

(٤) أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية، ص٤٢.

(٥) المقرئزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج٢، ص١٧٧.

اقتصاد الدولة^(١)، وقد ازداد الأمر سوءاً في سنة (١٠٦٢/هـ ١٠٥٤م) عندما خرج المستنصر للنزهة مع جنوده وشربوا الخمر بسقايات زمزم، فقد قتل أحد الجنود الأتراك المغمورين واحداً من العبيد وثارَت بينهم فتنة جديدة أدت إلى خراب مصر^(٢)، حيث قتل جماعة من العبيد ذلك الجندي التركي، فاجتمع الأتراك للانتقام من العبيد ووقعت بينهم عدة حروب انتهت بانتصار الأتراك على العبيد بقيادة ناصر الدولة^(٣) ففويت بذلك شوكة الأتراك واشتد بأس قائدهم^(٤).

وقد تجددت هذه الحروب وكانت سبباً مباشراً في وقوع الشدة العظمى سنة (١٠٦٥/هـ ١٠٥٧م)، فقد استبد الأتراك بأمور الجيش والدولة ومنعوا العبيد من أرزاقهم، مما أدى إلى وقوع معارك أخرى بينهم في صعيد مصر، فاختلف الأمن وأصبح الناس يخافون من الخروج بسبب انتشار الخطف والقتل، وأخذ النيل يزيد

(١) كانت أم المستنصر أمة سوداء من أصول سودانية فانحازت لبني قومه من العبيد، واستكثرت من الجنود السودانيين واتخذت منهم حرساً خاصاً لها ولإبنها الخليفة المستنصر، فأثار ذلك غضب الأتراك وظنوا أنها بداية للقضاء عليهم والتخلص منهم، فاشتبكوا مع العبيد في معارك عنيفة انتهت بهزيمة العبيد، ثم عاث الأتراك في البلاد فساداً، وقاموا بنهب المنازل واغتصبوا الأراضي، وأزهقوا الكثير من الأرواح مما أفقد الدولة الكثير من الأيدي العاملة، فتعطلت الزراعة وارتفعت الأسعار وانتشر الجوع. انظر السيد عبدالعزيز سالم: دراسات تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية الدولة الفاطمية، ص ١٦٩.

(٢) المقرئزي: تعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج ٢، ص ٢٦٥، ٢٦٦.

(٣) ناصر الدولة هو أبو علي الحسن بن الأمير أبي الهيجاء بن حمدان، نجح في القضاء على دولة العبيد في سنة (١٠٦٠/هـ ١٠٧٠م) ولقب نفسه بسلطان الجيوش، وقد نجح ابن حمدان في قطع الخطبة عن المستنصر في الإسكندرية ودمياط والوجه البحري كله، وأقام الخطبة للخليفة القائم بالله العباسي في سنة (١٠٦٢/هـ ١٠٧٢م)، ثم شرع في محو آثار الدولة الفاطمية في مصر، ولكن خاف الأتراك على أنفسهم من هذه السياسة ودبروا مؤامرة للتخلص منه بقيادة الأمير إدكر كبير الترك، ونجحوا في قتله في سنة (١٠٦٥/هـ ١٠٧٥م). انظر المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٤) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج ٥،

دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢١.

وينقص دون أن يكون هناك من يزرع الأراضي، فعَم الجوع حتى أكلت القطط والكلاب^(١)، وقد تداعت الأمور أكثر في سنة (٤٦١هـ/١٠٦٩م) حيث انقسم الجند إلى فرقتين واحدة مع الخليفة وواحدة مع ابن حمدان الذي استبد بالأمور وأراد إقامة الخطبة للعباسيين، فوقع قتال بينهم وحاصر ابن حمدان القاهرة ومنع دخول أي طعام لها، فانعدمت الأقوات وغلّت الأسعار ومات الآلاف نتيجة القتل والجوع^(٢).

وقد انتهت هذه المأساة عندما استنجد المستنصر ببدر الجمالي الذي تمكن من إخماد الفتن وإصلاح الدولة وذلك في سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٥م)^(٣)، فقد استطاع القضاء على نفوذ الأتراك في الجيش بعدما قتل وأسر أمراءهم، كما أنه ذهب لقتال السودانين في الصعيد ونجح في التغلب عليهم سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٦م) فأعاد بذلك الأمن والأمان للبلاد ووضع حداً للفتن والاضطرابات في الدولة، فعَم الرخاء ورخصت الأسعار وذلك بعد أن وصل منسوب النيل إلى ثمانية عشر ذراعاً^(٤)، ولكن بعد وفاة بدر الجمالي تزايد دور طوائف العسكر في السياسة واستمرت المنازعات بينهم خلال العصر الفاطمي الثاني، حتى جاء صلاح الدين الأيوبي بجيشه من الأكراد وقضى على نفوذهم نهائياً وأقام دولة بني أيوب^(٥).

رابعاً: أثر نهر النيل على الحالة الأمنية في البلاد

كانت الحالة الأمنية في البلاد تتأثر بالمجاعات الناتجة عن انخفاض فيضان النيل أو ارتفاعه^(٦)، فقد كان اضطراب الأمن وانتشار أعمال السلب والنهب من المظاهر المصاحبة للمجاعات، وغالباً ما تكون طوائف العسكر هي السبب وراء

(١) المقرئزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٣) عمر سلهم صديق: الأزمان الاقتصادية في مصر الفاطمية، ص ٢٣٩.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٦، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٥) المقرئزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٢، ص ٤٠٣.

(٦) أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، ص ١٠١.

اضطراب الحالة الأمنية وذلك لتملكهم السلاح والقوة^(١)، ففي أثناء المجاعة الخطيرة التي وقعت في عهد الظاهر لدين الله خلال عامي (٤١٤-٤١٥هـ/١٠٢٣-١٠٢٥م) اضطربت الحالة الأمنية في البلاد بشدة وذلك بسبب العبيد الذين استغلوا المجاعة للحصول على أكبر قدر من المكاسب المادية^(٢)، فقد قاموا بنهب قوافل الحجاج المغاربة وجميع المناطق البعيدة عن العاصمة، وقد حاولت الدولة التصدي لهم ولكنها عجزت عن ذلك بسبب عدم توافر المؤن اللازمة^(٣).

وقد طالت حوادث السلب والنهب العاصمة، حيث قام العبيد بنهب القاهرة وما جاورها من المدن حتى اضطّر الجرجري -وهو أحد كبار رجال الدولة- إلى هجر القاهرة والفرار إلى الفسطاط وذلك بعدما نهب العبيد داره^(٤)، ولما طال انتظار العبيد للنفقة واشتد بهم الفقر والجوع قاموا بمهاجمة القصر الفاطمي ونهبوا سماء عيد النحر الخاص بالخليفة أمام رجال الدولة^(٥)، ثم تجمعوا وذهبوا إلى جبل المقطم

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١، ص ٢٣٧.

(٢) عندما بدأت المجاعة تشتد في عام (٤١٥هـ/١٠٢٤م) توجه العبيد إلى مدينة تنيس وقاموا بنهبها وأخذوا من الخزينة ألفاً وخمسمائة دينار، كما أغاروا على قوافل الحجاج المغاربة، وقاموا بقطع الطريق عليهم وسرقوا أموالهم فلم يخرج أحد للحج مرة أخرى في هذه السنة، كما قاموا بنهب الريف بالإشتراك مع العرب، فنهبوا الأشمونيين وحصل الواحد منهم على ٩٠٠ رأس من البقر و٣ آلاف رأس من الضأن. انظر المقرئ: اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج ٢، ص ١٦٦.

(٣) المسبحي: أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد السيد وتياري بيانكي، ج ٤٠، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٧م ص ٧٧.

(٤) المسبحي: أخبار مصر، ج ٤٠، ص ٧٧، ٧٦.

(٥) بدأت حوادث نهب العبيد بالعاصمة في يوم ٠١ ذي الحجة في سنة (٤١٥هـ/١٠٢٥م)، حيث قاموا بمهاجمة القاهرة، وعندما علم رجال الدولة بذلك امتنعوا في ديارهم وحرسوا أنفسهم، ولكن نجح العبيد في نهب دار الجرجري الذي نجح في الفرار إلى الفسطاط وتحصن بها، ثم قاموا بمهاجمة قصر الخلافة أثناء مد سماء عيد النحر، وذلك عندما اشتد بهم الجوع وصاحوا: "الجوع .. الجوع نحن أحق بأكل سماء مولانا" فنهبوا السماء أمام الخليفة وكبار رجال الدولة وذلك بعدما

وتجهزوا لنهب مصر، ولكنهم فشلوا في ذلك بعدما تجهز القائد معضاد بعساكره للدفاع عن البلاد من الهجوم المرتقب وأباح الخليفة للناس قتل العبيد إذا ما حاولوا نهبهم، فانتهى بهم الأمر بالعودة إلى حاراتهم^(١).

وسرعان ما جدد العبيد غاراتهم نتيجة للمجاعة المروعة، فقد انقضوا على سواحل إستيراد الغلال وقاموا بنهب ما فيها من قمح وشعير وحبوب، كما نهبوا منازل ودكاكين أهل الساحل^(٢)، وقد حاول جنود الخليفة التصدي لهم ولكنهم فشلوا في ذلك فاضطر عامة المصريين إلى التصدي لهم بالسلح^(٣)، ثم قام العبيد بمهاجمة أسواق القاهرة والسويقة الموجودة عند باب زويلة وقاموا بنهبها، فأصدر الخليفة أوامر بالقبض على جماعة منهم وضرب أعناقهم ورمى جثثهم للكلاب وذلك لكي يصيروا عبرة لغيرهم، إلا أن المجاعة اشتدت ودفعت بعامة الناس إلى نهب بعضهم البعض بسبب شدة الغلاء وعدم توافر الأقوات^(٤).

=عجز الصقالبة عن التصدي للعبيد بالعصي، كما أنهم نهبوا لحم الأضاحي الذي أحضرها كاتب قاضي القضاة أبو الحسن بن محمد الطريقي لتوزيعها على أرباب الرسوم. انظر المقريري: اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج٢، ص١٦٢.

(١) تجمع العبيد في يوم ٢٣ من شهر ذي الحجة في سنة (١٠٢٥/٥٤١٥م) واتفقوا مع النهابة على الذهاب إلى أعلى الجبل بالمقطم استعداداً لنهب مصر وقد بلغ عددهم نحو ألف رجل، فبعث القائد معضاد عساكره إلى العاصمة لحماية البلاد من الهجوم المرتقب، ثم توجه إلى حيث تجمع العبيد فشكوا له اشتداد الجوع بهم فوعدهم بالنفقة في اليوم التالي فانصرفوا إلى حاراتهم. انظر المسبحي: المصدر السابق، ج٤٠، ص٨٧.

(٢) المقريري: المصدر السابق، ج٢، ص١٧٠.

(٣) حفر عامة المصريين الخنادق في الدروب، ووقف الرجال والنساء على أعلى المنازل وألقوا بالحجارة والطوب على العبيد، فانهزم العبيد أمامهم واضطروا إلى الفرار، فاغتنم القائد معضاد الفرصة وطاردتهم وقبض عليهم، فضرب رقاب تسعة منهم ورمى جثثهم إلى الكلاب. انظر المسبحي: المصدر السابق، ج٤٠، ص٨٨.

(٤) المقريري: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٣٥٤.

وبعد وقوع الشدة المستتصرية عاشت مصر حالة من الفوضى والإضطرابات بسبب تسبب الحالة الأمنية في البلاد، فقد تنازعت طوائف الجند فيما بينهم -كما سبق وذكرنا- مما أدى إلى انتشار أعمال السلب والنهب وقطع الطرقات^(١)، فأصبحت طرق المواصلات البرية والبحرية غير آمنة بسبب تعرض المسافرين لنهب اللصوص فتأثرت بذلك تجارة الغلال الواردة للبلاد^(٢)، كما اشتد خوف الناس بسبب كثرة الخطف والقتل في الطرقات ليلاً ونهاراً بسبب الجوع فامتنعوا عن الخروج من بيوتهم^(٣)، وقد أثر ذلك الأمر بالسلب على الزراعة، فقد وفى النيل في سنة (١٠٧٠هـ/١٠٧٠م) ولم يخرج أحد لزراعة الأراضي لأن السير في الطرقات أصبح مغامرة غير مأمونة العواقب، فتفاقم البلاء بالناس واشتد جوعهم^(٤).

كما أدى اضطراب الأمن إلى تحول طريق الحج من مصر إلى الأراضي الحجازية^(٥)، ويرجع هذا التحول إلى خراب الدلتا وقت الشدة المستتصرية، وقد صاحب تحول طريق الحج تحولاً في باقي طرق التجارة، فقد تحولت تجارة مصر من موانئ الشمال إلى ميناء عيذاب مما أدى إلى ازدهاره، وقد تبع استعمال هذا الميناء ازدهاراً في مدينة قوص أيضاً حيث أصبحت أهم الأسواق في مصر^(٦)، وقد

(١) عبدالمنعم عبد الماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ص ٣٧٦.

(٢) المقرئزي: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ١، ص ٣٣٧.

(٣) راشد البراوي: حالة مصر الإقتصادية في عهد الفاطميين، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٩٦، ٩٥.

(٤) المقرئزي: اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج ٢، ص ٢٧٩.

(٥) ذكر ناصر خسرو أن طريق التجارة قد تحول من الطريق البري إلى الطريق البحري، بعد أن كان الطريق البري هو الأكثر استعمالاً حتى زيارته لمصر، كما ذكر أن طريق الحج البري قد انقطع منذ وقوع الشدة العظمى، وصار الناس لا يتوجهون إلى مكة إلا عن طريق ميناء عيذاب، فكانوا يأخذون المراكب منه إلى جدة، وقد كان هذا طريق عودتهم أيضاً. انظر ناصر خسرو: سفر نامه، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٤٥.

(٦) سعاد ماهر: محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٢٦، ٢٧.

استمر هذا الوضع المروع حتى جاء بدر الجمالي إلى مصر عام (١٠٧٤/٥٤٦٧م) وتمكن من إقرار الوضع الأمني في البلاد^(١).

خامساً: أثر نهر النيل على السياسة الخارجية وحدود الخلافة

تعد السياسة الخارجية لأي دولة هي السبيل لتحقيق أمنها الإقتصادي وذلك بما تحققه من علاقات ومعاهدات مع الدول المجاورة وذلك لسد حاجاتها بما ينقصها من السلع والمواد الغذائية^(٢)، وقد كان لنهر النيل تأثير مباشر على السياسة الخارجية لمصر وذلك لأنه يؤثر بشكل كبير على الأوضاع الداخلية فيها^(٣)، فإنهايار الإقتصاد وإضطراب الأمن الناتج عن انخفاض فيضان النيل أو ارتفاعه، بالإضافة إلى سياسة بعض الخلفاء الفاطميين الخاطئة تجاه هذه الأزمات كان يؤدي إلى اضطراب العلاقات مع الدول القريبة من محيطهم، بالإضافة إلى ضعف الدولة وعجزها عن الاحتفاظ بالبلاد المنضوية تحت لوائها^(٤).

١- أثر نهر النيل على علاقات الفاطميين الخارجية

كانت علاقة الفاطميين مع العباسيين من جهة ومع الروم والأحباش من جهة أخرى من أهم أسباب أزمات مصر الإقتصادية، فالعلاقة بين الفاطميين والعباسيين علاقة عدائية بحتة قائمة على أساس ديني غرضه إثبات أحقيتهما بالخلافة^(٥)، أما علاقة الفاطميين بالروم والأحباش فقد كانت علاقة يشوبها العداء في أوقات كثيرة

(١) المسبحي: أخبار مصر، ج ٢، ص ٢٣.

(٢) عمر سلهم صديق: الأزمات الإقتصادية في مصر الفاطمية، ص ٢٤٦.

(٣) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ٥٣.

(٤) أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، ص ١٠٧.

(٥) عمر سلهم صديق: المرجع السابق، ص ٢٤٧.

بسبب اضطهاد النصارى في مصر^(١)، وقد أثرت هذه العلاقات بشكل سلبي على البلاد بسبب النفقات الباهظة التي بذلها الفاطميون في سبيل منافسة العباسيين على النفوذ وحيازة البلدان^(٢)، بالإضافة إلى المعاملة السيئة للنصارى والتي أدت إلى سوء العلاقات التجارية مع الروم والأحباش.

وقد كانت بلاد الحجاز من أهم مراكز التنافس الفاطمي العباسي بإعتبارها قلب العالم الإسلامي^(٣)، لذلك عمل الفاطميون على حيازة تبعيتها وإقامة الخطبة لهم في مكة والمدينة، فقاموا بإرسال النفقات وكسوة الكعبة إلى أشرف الحجاز مقابل إقامة الدعوة الفاطمية في الأراضي المقدسة^(٤)، فكانت أول خطبة للفاطميين في بلاد الحرمين سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م) وذلك بعدما أغدق عليها المعز بالأموال الطائلة^(٥)، ولكن عندما وقعت المجاعة في عهد الظاهر سنة (٤١٥هـ/١٠٢٥م) وتعدّر إرساله للنفقات والمعونة لهم، قام الحجازيين بتهديده بقطع الخطبة له وإقامتها للعباسيين فاضطر إلى إرسالها رغم سوء الأوضاع^(٦).

(١) محمد جاب الله علي: العلاقات المصرية الحبشية في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، ٢٠١١م، ص ٦١.

(٢) سعى الفاطميون منذ استقرارهم في مصر إلى نشر مذهبهم الشيعي في العالم الإسلامي، لذلك أنفقوا بسخاء على أمراء الولايات لإقامة الخطبة للفاطميين في بلادهم، ولم يُهمل الفاطميون أمر الدعوة والإنفاق عليها حتى في أشد الأزمات، فقد بث المستنصر دعائه في خرسان وبلاد ما وراء النهر لنشر الدعوة الفاطمية، كما أنه أرسل أموالاً عظيمة للبساسيري عندما سيطر على بغداد وذلك لإقامة الخطبة له على الرغم من وقوع الشدة المستنصرية في مصر والتي أكل خلالها شعبه جيف القطط والكلاب. انظر المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ١٨٠.

(٣) عمر سلهم صديق: الأزمات الاقتصادية في مصر الفاطمية، ص ٢٤٨.

(٤) علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، ص ٨.

(٥) المقرئزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج ١، ص ١٢٢.

(٦) صبحي عبد المنعم محمد: العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، ص ٨١.

وعندما نقص النيل أثناء الشدة المستنصرية بدأت العلاقات تضطرب بين مصر والأراضي الحجازية بسبب عجز المستنصر عن إرسال الأموال وكسوة الكعبة إليهم، فقام أمير مكة بقطع خطبة الفاطميين وأقامها لبني العباس^(١)، فاضطر المستنصر إلى إرسال مائتي ألف دينار رغم شدة البلاء وتساقط جنث الموتى جوعاً وقتلاً في طرقات القاهرة^(٢)، ولكن سرعان ما تغير ولاء أمير مكة عندما أرسل إليه مبالغ أكبر وخطب للقائم العباسي على منابر مكة والمدينة، وانتهى بذلك صدى أسماء الخلفاء الفاطميين على منابر الحجاز وانقطعت معه الدعوة الفاطمية بإنقطاع الإنفاق على بلاد الحرمين^(٣).

أما العلاقات التجارية مع الروم فقد كانت مقترنة برعاية مصالح النصارى في مصر، حيث أن الروم هي بوابة مصر التجارية للعالم الخارجي من جهة الشمال، فهي تتحكم بسواحل ومياه البحر المتوسط المطلّة على أوروبا وبلاد المغرب

(١) المقرئزي: المصدر السابق، ج٢، ص١٦٤-١٦٩.

(٢) اضطربت العلاقات بين مصر والأراضي المقدسة بسبب انقطاع ما ترسله مصر من نفقات وأغذية منذ بداية الشدة العظمى سنة (٥٤٥٧/٠٦٥م)، فقد قام محمد بن جعفر بن أبي هاشم (أمير مكة) بقطع الخطبة للمستنصر في سنة (٥٤٦٢/٠٧٠م) وأقام الخطبة للقائم العباسي، فانقطعت بذلك الدعوة الفاطمية من الحجاز، فيذكر الذهبي: "أن تمرد الحجاز يعود إلى زلّة المصريين بالقحط المفرط وانشغالهم بأنفسهم حتى أكل بعضهم بعضاً"، ويبدو أن المستنصر لم يهتم بالغلاء والخراب الذي حل بمصر، بل كان همه الوحيد هو الحفاظ على الخطبة الفاطمية في أرض الحرمين الشريفين. انظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥٧٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مج٦١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧١م، ص٢١٤.

(٣) يُعد تكرار قطع الخطبة عن الفاطميين وإقامتها للعباسيين في أوقات ضعف وإفلاس الخلافة الفاطمية دلالة على أن تبعية الحجاز للفاطميين كانت مبنية على حاجة مادية فقط، وذلك بسبب قلة الموارد الإقتصادية في بلادهم، لذلك قاموا بإستغلال الصراع الفاطمي العباسي من أجل جني الأموال. انظر عمر سلهم صديق: المرجع السابق، ص٢٤٩.

العربي^(١)، وقد كانت علاقتها التجارية بمصر طيبة في العصر الفاطمي الأول حيث تمتع النصارى بمعاملة حسنة وتولوا أكبر المناصب في الدولة، ولكن سرعان ما تعكر صفو هذه العلاقات في عهد الحاكم الذي اضطهد النصارى في عهده^(٢)، والمستنصر الذي أمر بإغلاق كنائس مصر وفرض على الرهبان جزية لمدة أربع سنوات، فقامت ثيودورا (ملكة الروم) بإلغاء صفقة تصدير الغلال إلى مصر أثناء الشدة العظمى في سنة (٤٤٧/هـ ١٠٥٥ م) مما أدى إلى تفاقم المجاعة^(٣).

أما الحبشة فقد كان تأثيرها على مصر أقوى وأخطر من تأثير الروم وذلك لأن النيل يمر بأراضيها قبل وصوله إلى السودان ومصر، وقد استعمله الأحباش كوسيلة للضغط على مصر إذا ما أساءت معاملة رعاياهم^(٤)، وهذا ما حدث في عهد الحاكم بأمر الله عندما أساء معاملة النصارى، فقد قام الأحباش بتحويل مسار النهر فتوقف النيل عن الزيادة، وعندما علم الحاكم بذلك أرسل بطرك النصارى إلى نجاشي الحبشة وشرح له ما وقع بالبلاد من ضرر، فأمر النجاشي بفتح السد ففاض النيل في مصر حتى وفي^(٥)، ويُعتبر هذا الأمر دلالة خطيرة على مصير النيل في مصر، فقد

(١) عمر سلهم صديق: الأزمان الاقتصادية في مصر الفاطمية، ص ٢٥٠.

(٢) بدأ الحاكم عهده بحملة قاسية ضد النصارى، فقد هدم كنائسهم وأجبرهم على تعليق صليب خشبي ضخّم على أعناقهم، كما أجبرهم على لبس عائم سوداء وزنانير على صدورهم، ومنعهم من الركوب مع المسلمين واستعمال حماماتهم، بل وخيرهم بين اعتناق الإسلام أو الرحيل عن مصر. انظر فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل النمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٠٩.

(٣) أرسل المستنصر رسولا إلى القسطنطينية، وقد صادف وصوله وصول رسول العباسيين الذي استأذن ملكة الروم وصلى وخطب للخليفة القائم العباسي في مسجد القسطنطينية، فأثار ذلك غضب المستنصر وأمر بإغلاق كنائس مصر والشام، فساءت علاقته مع الروم وألغت ملكتهم صفقة الحبوب المرسلة إلى مصر. انظر المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٤) عمر سلهم صديق: المرجع السابق، ص ٢٥١.

(٥) أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، ص ٣٣.

استخدمه الأحباش والصليبيين كورقة تهديد لمصر في العصور اللاحقة من التاريخ^(١)، ومازالت هذه الورقة تُستعمل حتى وقتنا الحالي.

٢- أثر نهر النيل على حدود الخلافة الفاطمية

لم يقتصر تأثير المجاعات المتعاقبة على الأوضاع الداخلية للخلافة الفاطمية، بل امتد تأثير هذه المجاعات إلى ممتلكات الخلافة خارج حدود مصر وأدت إلى ضياعها، فقد انهكت هذه المجاعات الخلافة الفاطمية وأفقدتها جزء كبير من حدودها الواسعة، وذلك لأنها شجعت أعداء الدولة والطامعين في الحكم على الإستقلال عن الخلافة وإسقاط الدعوة الفاطمية في بلادهم^(٢)، ففي أثناء المجاعة التي وقعت في سنة (٤٠٢-٤٠٣/١٠١١-١٠١٣م) تمرد العرب في الشام على الخلافة الفاطمية، ولكن عجز الحاكم بأمر الله عن إرسال جيشاً لردعهم بسبب انتشار الجوع واضطراب الأحوال في بلاده^(٣)، وبعد انتهاء المجاعة تمكن الحاكم من إرسال حملة ناجحة إلى دمشق واستعاد بها بلاد الشام^(٤).

وقد تجدد التمرد في بلاد الشام أثناء المجاعة التي وقعت في عهد الظاهر لإعزاز دين الله سنة (٤١٤-٤١٥/١٠٢٣-١٠٢٥م)، حيث قام عرب الشام بحركات تمرد واسعة في دمشق بسبب انشغال الخلافة بالمجاعة في مصر وعجزها عن

(١) حدث ذلك مرات كثيرة في عهد الدولة الأيوبية، فقد أرسل نجاشي الحبشة كتاب إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٥٧٢٦/١٣٢٥م) وطلب فيه تعمير كنائس النصارى والإحسان إليهم حتى لا يقطع جريان النيل عن مصر، كذلك فقد أعاد نجاشي الحبشة إرسال كتاب آخر إلى سلطان مصر في سنة (٥٨٤٧/١٤٤٣م) يتضمن التهديد بقطع النيل عن مصر إذا ما استمرت عمليات اضطهاد المسيحيين. انظر قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري، ص ٥٣.

(٢) أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، ص ١٠٧.

(٣) عبد المنعم عبد الماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ص ١٤٣.

(٤) جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ط ٣، دار الفكر العربي، القاهرة،

إرسال عساكرها إلى بلادهم، فقد حاول الظاهر إرسال حملة من الكتامين للسيطرة على دمشق ولكنهم هلكوا فقراً وجوعاً فاضطر الظاهر إلى إقرار الوضع على ما هو عليه بالشام، وقد كان هذا بمثابة إقرار منه بعجز الدولة الفاطمية عن صد المتمردين وإستعادة أملاكها، ولم تتمكن الدولة الفاطمية من إعادة نفوذها في بلاد الشام إلا في سنة (٤٢٠هـ/١٠٢١م)^(١).

كما أثرت المجاعات التي وقعت في فترة الشدة المستنصرية منذ (٤٤٧-٤٥٧/١٠٥٥-١٠٦٥م) على ممتلكات الخلافة الفاطمية في بلاد الشام والحجاز وأفريقية، فقد قطع كل من والي أفريقيا ووالي مكة والتركمان بحلب الخطبة للفاطميين وأقاموها للعباسيين^(٢)، كما أدى انشغال المستنصر بالمجاعات إلى استقلال الأسر المحلية الحاكمة بسوريا، واستيلاء الأتراك على فلسطين في سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٣م)، بالإضافة إلى استيلاء السلاجقة على دمشق في سنة

(١) استطاعت الدولة الفاطمية أن تُعيد بسط نفوذها على بلاد الشام وتسترد أملاك الخلافة في سنة (٤٢٠هـ/١٠٢١م) وذلك بعدما نجح الدزيري في هزيمة حسان بن جراح وقتل صالح بن مرداس، أما حلب فقد تم استعادتها في سنة (٤٢٦هـ/١٠٣٥م) وذلك بعد قتل ثمال بن صالح بن مرداس. انظر ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٧٣، ٧٤.

(٢) كانت بلاد الشام هي أكثر أملاك الخلافة تأثراً بحالة الضعف التي أصابت الفاطميين أثناء الشدة المستنصرية وبعدها، فقد بدأ خروج بلاد الشام من يد الفاطميين مع بداية الشدة العظمى سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٥م)، وذلك بعدما تمكن محمود بن صالح بن مرداس من الإستيلاء على حلب في سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م) وأسقط الدعوة الفاطمية بها في سنة (٤٦٢هـ/١٠٧٠م)، وعندما جاء ألب أرسلان إلى حلب في سنة (٤٦٣هـ/١٠٧١م) قلده محمود بن صالح الولاية فأكد بذلك خروج حلب نهائياً من تحت سيطرة الفاطميين، حتى بلاد الحجاز التي كانت ذات أهمية روحية للفاطميين خرجت من تحت أيديهم بسبب عجزهم عن إرسال النفقات إليها بسبب المجاعات، فتحول ولائها إلى العباسيين، أما أفريقية فقد خضع واليها إلى المرابطين وقطع الخطبة للفاطميين فيها. انظر ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٩٠-٩٣.

(١٠٧٦/هـ ١٠٧٦م) (١)، ولم يقتصر الأمر على خروج ولايات المشرق عن طوع الفاطميين، فقد خرج أيضاً المغرب -مهد الخلافة الفاطمية- عن طوعها، فمنذ الشدة العظمى توقف ضرب السكة للفاطميين في المهديّة وجزيرة صقلية كما قطعت الخطبة لهم (٢).

الخاتمة:

مصر هي هبة النيل ولا يمكن أن تعرف زراعة أو استقراراً بدونه، غير أنه وجب على كل من حكم مصر أن يُحسن التعامل مع هذه الهبة لكي يُجنب شعبه الغلاء والجوع، فالنيل قديم بقديم مصر وهذه طبيعته منذ أن خلقه الله تعالى، فيفيض في أعوام وينخفض في أخرى، لذلك كان لابد من البحث في النظام السياسي للدولة الفاطمية لكشف الأسباب الحقيقية التي أجاعت مصر في عهدهم، واتضح أن هذه الأسباب كانت تكمن في نظم الفاطميين وفي شخصيات خلفائهم ووزرائهم وآل بيتهم، وأساليبهم في إدارة موارد الدولة والتصرف بها، فقد وفّى النيل في سنوات كثيرة ولكن الفاطميين لم يُوفوا فكان الجوع.

(١) أدت الشدة المستصرية إلى انشغال المستنصر بالأوضاع في مصر، فأدى ذلك إلى استقلال الأسر المحلية الحاكمة بسوريا ووقوع ما تبقى منها في أيدي الصليبيين، أما فلسطين فقد استولى مقدم الأتراك عليها في سنة (١٠٧٣/هـ ١٠٧٣م) وقطع الخطبة للمستنصر فيها، أما دمشق فقد خرجت عن الخلافة الفاطمية وذلك عندما تمرد شعبها على العسكر. انظر المسبحي: أخبار مصر، ج٢، ص١٨.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، محمد الأرناؤوط، ج٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٦٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد الجوزي القرشي التيمي البكري ت: ٥٩٧/١٢٠١م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ج٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.

٢- ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي ت: ٦٨١/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٨٥٨م.

٣- خير الدين الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ت: ١٣٩٦/١٩٧٦م): كتاب الأعلام، ج٧، ط٥١، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت: ٧٤٨/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مج١٦، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧١م.

٥- أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي ت: ٦٦٥/١٢٦٧م): الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: إبراهيم الزبيق، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

٦- ابن الصيرفي (أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان التنوخي ت: ٥٤٢/١١٤٧م): الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: عبدالله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٢٤م.

٧- ابن ظافر الأزدي (أبو الحسن علي بن ظافر بن حسين الأزدي
ت: ٥٦١٣هـ/١٢١٦م) : أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: أندريه فريه، المعهد العلمي
الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٢م.

٨- ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي
ت: ٥١٠٨٩هـ/١٦٧٩م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبدالقادر
الأرناؤوط، محمد الأرناؤوط، ج٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م.

٩- القاضي الرشيد بن الزبير (أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني
الأسواني المصري ت: ٥٥٦١هـ/١١٦٦م) : كتاب الذخائر والتحف، دائرة المطبوعات
والنشر، الكويت، ١٩٥٩م.

١٠- ابن القلانسي (حمزة بن أسد بن علي بن محمد أبو يعلى التميمي ت:
٥٥٥هـ/١١٦٠م): ذيل تاريخ دمشق، دار كنان للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٣م.

١١- القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ت:
٥٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد شمس الدين،
ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.

١٢- ابن القيم (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية
ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م): أحكام أهل الذمة، ج١، دار رمادي للنشر والتوزيع، الدمام،
١٩٩٧م.

١٣- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت:
٥٧٧٤هـ/١٣٧٣م) : البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ج١٥،
دار هجر، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٤- أبو المحاسن (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي الأتابكي الشبكاوي الظاهري ت: ٥٨٧٤/١٤٧٠م):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

-مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز أحمد، ج١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٥- المسبجي (الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز المسبجي ت: ٥٤٢٠/١٠٢٩م): أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد السيد وتيارى بيانكي، ج٤٠، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٦- المقرئزي (أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئزي ت: ٥٨٤٥/١٤٤١م):

- اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج٢، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.

- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: خليل منور، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٧- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت: ٥٦٢٦/١٢٢٩م): معجم البلدان، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م.

ثانياً: المراجع

- ١- أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج، دار التضامن للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ٢- السيد عبدالعزيز سالم: دراسات تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية الدولة الفاطمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.
- ٣- جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ٤- جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ٥- راشد البراوي: حالة مصر الإقتصادية في عهد الفاطميين، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.
- ٦- ستانلي لين بول: سيرة القاهرة، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وإدوارد حلیم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ٧- سعاد ماهر: محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ٨- سعيد عبدالفتاح عاشور: شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، مج٦، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ٩- صبحي عبدالمنعم محمد: العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت.).

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

- ١٠- عارف تامر: المعز لدين الله الفاطمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م.
- ١١- عبدالمنعم عبدالماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ١٢- علي حسني الخربوطلي: العزيز بالله الفاطمي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ١٣- علي سليمان: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، دار حواء، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ١٤- فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت).
- ١٥- قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط ١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠١٢م.
- ١٦- محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف الكبرى، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ١٧- محمد عبدالله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣م.
- ١٨- محمود عبدالرحمن عبدالمنعم: مُعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ج ١، دار الفضيلة، (د.ت).
- ١٩- مصطفى وهبة: موجز الحروب الصليبية، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٧م.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

٢٠- ناصر خسرو: سفر نامه، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

ثالثاً: الرسائل العلمية

١- صفاء محمد جابر: النيل وآثاره السياسية والحضارية على مصر منذ بداية العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي الأول، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب والآثار المصرية، قسم التاريخ، ٢٠١٨م.

٢- عبده مرعي المنتشري: النظم والتراتيب العسكرية في الجيش الفاطمي، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ٢٠١٧م.

٣- عطية القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام وحتى سقوط الخلافة العباسية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٧٣م.

٤- محمد جاب الله علي: العلاقات المصرية الحبشية في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، ٢٠١١م.

رابعاً: الدوريات

١- عمر سلهم صديق: الأزمات الاقتصادية في مصر الفاطمية، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة الموصل، قسم أصول الدين، مج٧، ع٢٧، ٢٠١١م.

نكاح "الاستبضاع"

أحمد وسائل تحسب النسل في الجزيرة العربية قبل الإسلام

إعداد

المجودة مسلم المرعي.

طالبة دكتوراة/ جامعة الملك سعود.

قسم التاريخ القديم

algooo1@hotmail.com

الملخص باللغة العربية:

تعددت أنواع الزواج في الجزيرة العربية قبل الإسلام واختلفت باختلاف مقاصدها، ويحتل الزواج المرتبة الأولى والمهمة من بين المساعي التي تتحقق بها جودة النسل، وتعددت الممارسات الخاصة والتي يُعتقد أن لها تأثير على النسل كأنتقاء الزوجات.

ويشكل نكاح الاستبضاع الظاهرة الأهم والحجة الأقوى بالنسبة لموضوع تحسين النسل، ومع غياب الأدلة الكافية حول هذه الظاهرة، إلا أنه قد تم ممارستها في الجزيرة العربية قديماً بحسب المرويات وبعض الأمثلة القليلة.

وسبب هذا النوع من الزواج أنه كان من بين الأزواج من سعى لتحسين نسله الذكوري، عن طريق نقل صفات الشخصيات التي لها صفات العقل أو الشجاعة أو النسب سبباً للسعى أن تتجب زوجته ابناً يحمل هذه الخصائص الموجودة لدى هذه الشخصيات.

وإمتدت هذه الظاهرة فوجدت آثارها في الحضارات المجاورة، ولهذا فلا توجد أدلة دقيقة تحدد أصل هذه الظاهرة وبدايتها، ولكن من الطبيعي أنها ظهرت في أماكن مختلفة من حضارات الشرق الأدنى القديم نتيجة ذلك التفاعل الثقافي.

Abstract:

There were many types of marriage in the Arabian Peninsula before Islam, and they differed according to their purposes. Marriage occupies the first and important place among the endeavors by which the quality of Progeny is achieved. There are many special practices that are believed to have an effect on Progeny, such as selecting wives.

Marriage by Forced (Istbdaa) constitutes the most important phenomenon and the strongest argument with regard to the issue of eugenic improvement, and with the absence of sufficient evidence about this phenomenon, it was practiced in the Arabian Peninsula in the past, according to narratives and some few examples.

The reason for this type of marriage is that he was among the husbands who sought to improve his male Progeny, by transferring the characteristics of personalities that have the qualities of reason, courage, or lineage as a reason for seeking that his wife give birth to a son who bears these characteristics that exist in these personalities.

This phenomenon extended and its effects were found in neighboring civilizations, and therefore there is no accurate evidence determining the origin and beginning of this phenomenon, but it is natural that it appeared in different places of the civilizations of the ancient Near East as a result of that cultural interaction.

نكاح الاستبضاع

كأحد وسائل تحسين النسل في الجزيرة العربية قديماً

امتد اهتمام العربي بالنسل ليشمل الخيل والإبل وسلالاتها، وحرصوا على نقاء دمائها وعدم اختلاطها بغيرها، وهو ما يثير دوافع الفضول إلى التعرف على كيفية اهتمامهم بنسلهم وطرق تحسينه وتحقيق قوته ونجابهته، فهو مما لاشك فيه أولى وأهم، وكان الزواج هو الوسيلة المقبولة عُرفياً للحصول على النسل ويمكن تعريفه بأنه: "الاقتران والازدواج وشاع استعماله في اقتران الرجل بالمرأة على سبيل الدوام والاستمرار"^(١)، وبالطبع يعتبر الزواج الوسيلة المثلى لإنجاب الأبناء، وقد أضحي الحصول على الولد أهم مقاصده وغاياته، وبما أن الزواج رباط قوي بين أسرتين، ومن الكلمات الدالة على قوة هذا الرباط هي "صهر" والذي يُذكر بالصهر الدال على الإذابة، ويدل ضمناً على الالتحام^(٢)، هذا الرباط يُحتم شروطاً ومعايير مهمة يعمل بمقتضاها الزوج لاختار الزوجة التي يلتحم مع اسرتها وتتجب أولاده، واهتم العرب بالمناكح الكريمة عن طريق اختيار الزوجات من بيوت العراقة والمجد، من أجل ولادة أبناء يجري في عروقهم دم الأشراف، يقول "غيلان بن سلمة الثقفي" يابني، قد أحسنت خدمة أموالكم، وأمجدت أمهاتكم، فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم، وغذا منكم، فعليكم ببيوتات العرب، فإنها معارج الكرم"^(٣)، واولوا مواصفات الزوجة عناية

(١) ناصر، نجاة، "ظاهرة زواج الأقارب وعلاقته بالأمراض الوراثية/ منطقة تلمسان نموذجاً - مقارنة انثروبولوجية بيولوجية"، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ٢٠١٢م، ص ٥.

(٢) الجوزو، مصطفى، العصر الجاهلي من خلال كتاب الأغاني ومصادر أخرى، رسالة دكتوراه، جامعة السوربون، باريس الرابعة، ١٩٧٣م، ص ٢٩٣.

(٣) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، ج ١٣، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٤٤.

خاصة، حيث ساد الاعتقاد بانتقال صفات الأم سواء الطباع أو الصفات الشكلية إلى الولد، وعلى سبيل مثال ذلك قال ابن الأعرابي: "طلق زياد امرأته حين وجدها لثغاء، وقال: أخاف أن يجيء ولدي ألثغ"^(١) واعتقدوا بوجود صلة داخلية بين الخال وابن أخته، وأن الولد يشب على أخلاق خاله، فجعلوا لهذا الاعتقاد أثراً خفياً تناقلته الأجيال عبر العصور^(٢) وقد أشار الشاعر "بجير ابن رازم" الى هذه المسألة بأن ابنه عصام لا يشبهه بل يشبه خاله بقوله:

والله ما أشبهني عصام لا خلق منه ولا قوام

نمت وعرق الخال لا ينام^(٣)

هذه الإجتهدات وغيرها مما يرجى فيه سبيل تحسين النسل أسفرت عن نوع من أنواع الأنكحة لجأ إليه العرب من أجل تحقيق كمال وجودة النسل، وهو نكاح الاستبضاع:

نكاح الاستبضاع:

من أبرز صور النكاح الدالة على الإهتمام بتحسين النسل؛ نكاح الاستبضاع، الذي يتمثل في أن الرجل يدفع بزوجه إلى رجل آخر فيه من الصفات ماتطمح اليه الأنفس من السيادة والقوة والفروسية وذياع الصيت، فتذهب الزوجة الى الشخص النموذجي الذي وقع عليه الاختيار، وتمكّنه من نفسها، رغبة في الحصول على مولود

(١) الدنيوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الاخبار، ج٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٤٣هـ، ص٧٤٣.

(٢) الربيعي، فاضل، شقيقات قريش الأنساب الزواج والطعام في الموروث العربي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٣١٢.

(٣) البكري، أبو عبيد الأنوبي، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ج٢، تحقيق عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٣٥م، ص٧٩٥.

يحمل صفاته الوراثة البطولية، ثم ترجع إلى زوجها ولا يقربها حتى يظهر حملها، وإذا ولدت نسب الولد إلى نفسه^(١).

وتدل ظاهرة هذا النكاح على أمرين مهمين:

الأول: عمق الرغبة بجودة النسل وتجاهل مادون ذلك.

الثاني: الصبغة التقديسية لرموز المجتمع وأبطاله، ومن ثم اعتبر من أرسل زوجته لمعاشرة هؤلاء امتداداً لهذه القدسية والتبجيل ومحاولة للتقرب من هؤلاء الصفة في المجتمع الذين بلغوا من المكانة ما كان كالتقديس^(٢).

هذا النوع من النكاح بالتحديد يمكن القول عنه أنه ذو أهداف نسليه وليست غريزيه لأن الرجل المستبضع منه لم يختار هذا الأمر، بل وقع عليه الاختيار، ولكن يبقى هذا النوع من النكاح مُحاط بكثير من التساؤلات، وهي هل الرجل المطلوب يوافق على هذا الأمر متى ما طُلب منه دون أي معارضة أو مقابل؟ أم أنه لا يوجد ما يخسره، بل على العكس هذه المرأة تقدم نفسها له بدون أي مقابل؟ إن كان كذلك فهل يرضى أن يُنسب ابناءه لغيره؟ وهل هذا الأمر مُذاع أم أنه يتم سراً؟ إن صح وجود هذا النكاح فمن المحتمل أنه يتم سراً، لأنه لم يصل عنه من الأخبار المسجلة أي شخص بعينه أنه كان مُستبضع من الشخص الفلاني أو شيء من هذا، إلا ما ذكره "الضبي" في كتابه "الأمثال" وإن كان يُعتقد أنه من المأثور العربي الأسطوري، حيث يروي أن "لقمان بن عاد" كانت له أخت تحت رجل ضعيف وأرادت أن يكون لها ابن كأخيها لقمان في قوته وعقله ودهائه، فقالت لامرأة أخيها: إن

(١) الألويسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج ٢، تحقيق: يوسف إبراهيم

سلوم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٠.

(٢) برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٩٦م، ص ٢٨٨.

بعلي ضعيف، فأعيريني فراش أخي الليلة، ففعلت، فجاء لقمان وقد ثمل فبطش بأخته فعلمت منه وولدت ولدا دعتة (لقيم)-تصغير لقمان- وقد وردت هذه القصة في شعر النمر بن تولب وفيه يقول:

لقيم بن لقمان من اخته وكان ابن اخت له وابنما

ليالي حمقت فاستحصنت اليه فغر بها مظلما.

فأحبها رجل نابه فجاءت به رجلا محكما^(١)

وشاهد آخر "أن عبد الله بن عبد المطلب^(٢) مر بإمرأة تنتظر وتعتاف فدعته إلى أن يستبضع منها فأبى"، ومعنى تنتظر وتعتاف أي تتكهن ولديها معرفة بالناس^(٣)، لذلك طلبت أن تستبضع منه رجاء ولده، والملاحظ في كلا الشاهدين أن الطلب صدر من امرأة مع العلم أن هذا النكاح يتم بالإتفاق بين الزوج وزجته، أضف إلى ذلك أن موافقة الرجل المطلوب ليست حاضرة في جميع الأحوال، فقد أجاب بالرفض عبدالله بن عبد المطلب، وكذلك لقمان لم يكن لديه علم بأنها غير زوجته، وفي رواية أخرى لحديث عبدالله بن عبدالمطلب أن المرأة ذاتها عرضت عليه مائة ناقة مقابل أن تستبضع منه وأبى أيضاً^(٤)، ويدلل هذا المقابل المقدم من جهة المرأة على عظم الطلب بالنسبة لها، ولكن هل هذا العرض خاص بعبدالله بن عبد المطلب فقط؟ لأن هذه المرأة وهي المسماة "كاظمة بنت مر" قيل أنها تتكهن و تقرأ الكتب وقيل انها

(١) الضبي، المفضل بن محمد، أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت،

١٤٠١هـ، ص ١٥٢، ١٥١.

(٢) هو والد النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣) ابن منظور، جمال الدين الانصاري الرويفعي الافريقي، لسان العرب، ج ٩، تحقيق: اليازجي

وغيره آخرون، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ص ٢٦١.

(٤) ابن منظور، المرجع السابق، ج ٥، ص ٢٢٠.

أخت ورقة بن نوفل^(١)، لذلك كانت تطمح أن يولد لها نبي من هذا الرجل، أم أن هذه العروض تُقدم لجميع من يُستبضع منه؟

وتستمر التساؤلات في ذات الموضوع هل أهل الزوجة واخوتها لايمانعون هذا الأمر؟ أم أن الغيرة تقل عند العرب آنذاك، لأن سماح الزوج مُهدد لسماح الجميع، أم أنه مشروع خاص بين الزوجة وزوجها دون علم غيرهم؟ هذه التساؤلات لا تنفي وجوده، لكن قد يكون حالات استثنائية وليست شائعة، ففي مثل هذا الموضوع تغيب الأدلة ولكن تحضر بعض المؤشرات، مثلاً لو ذكرنا أن ما يشبه الاستبضاع موجود في وقتنا الحالي وبالطبع ستختلف الطرق باختلاف الزمان وتقدم الحضارات، فهل هذا سيبرر وجود الاستبضاع سابقاً أو يساعد على إثبات وجوده؟ وما دعا لهذا القول هو ما شاع أخيراً في أوروبا وأمريكا بين النساء المتزوجات، ويجري بمعرفة أزواجهن، حيث يعرض على المرأة نطف رجال فيهم القوي والذكويّ والوسيم وفيهم الأشقر والأسمر، وفيهم العالم والأديب، فتختار ما تشاء، فإذا حملت يُنسب الولد الحاصل إلى زوجها^(٢)، وتشابه الفكرة التي هدفها تحسين النسل هي ما أُستحسن معه إيراد هذه الحادثة المعاصرة، فلو تم وضع مقارنة بين الوضعين السابق والحالي لالتمسنا بعض التشابه الذي يبرر وجود نكاح الإستبضاع مثلاً نقص الوازع الديني يحضر في كلا الحالين، الفطرة البشرية والرغبة في كمال النسل، إستكمال نقص أو سد خلل قد يكون في الأب من ضعف بنية أو قلة شجاعة أو غير ذلك مما يُراد تغييره، بل يمكن القول أن الرغبة في ذلك تزيد إلحاحاً كلما عُدنا للوراء بسبب البيئة والظروف الصعبة، ومع هذا كله

(١) ابن منظور، المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(٢) الترماني، عبدالسلام، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة، المجلس

الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤، ص ١٩.

يبقى الأمر غير مقبول ولكن لا يمكن نفيه البتة أو اثباته بالتأكيد ويبقى كل ما قيل
اجتهاد لمحاولة فهم هل يمكن أن يكون قد حدث هذا النوع من النكاح عند العرب
بالفعل؟ وهل هذه الظاهرة كانت لدى العرب فقط أم أنها انتقلت إليهم من الحضارات
المجاورة؟

نكاح الاستبضاع كظاهرة تعبر عن تأثر وتأثير عرب الجاهلية بالحضارات المجاورة:

نتيجة اختلاط العرب بالشعوب المحيطة بهم وهجراتهم إليهم، فقد تأثروا بهم
كما أثروا فيهم، وهذه التأثيرات تطال جميع جوانب حياتهم بما فيها الاجتماعية،
خاصةً وأنه قد كشفت دراسات علم الاجتماع ودراسات التطورات الذاتية في الحياة
البدائية أنه لا أساس لافتراض وجود فترات طويلة من الجمود المتواصل أو استقرار
دائم وثبت على حال واحد، لأن فترات الجمود تعقبها فترات تكيف وانقلاب، ولأن
الأمر يتعلق بالبشر فلا يمكن أن يثبت على حال^(١).

لهذا من الممكن أن تكون بعض الممارسات والمفاهيم التي تشكلت لدى
عرب الجاهلية إما اعتماداً على أعراف قديمة أو مستمدة من مناطق محيطة، والأدلة
كافية للتدليل على ذلك التأثير المتبادل، و كان مثلاً على هذا ما يكشف عنه العهد
القديم من التفاعل الواسع النطاق للعبيرانيين القدماء وعلاقاتهم بمصر وبابل وآشور
خلال تاريخهم واتصالهم مع العرب منذ القرن العاشر قبل الميلاد، وسرعان ما تبع
ذلك ظهور الممالك القبلية في الشمال والأنظمة المتحضرة في الجنوب، و ما حدث
من التفاعل بين مناطق جنوب الجزيرة العربية ووسطها، وعلاقات حضارات الجنوب

(١) جمعة، محمد محمود، النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية، مطبعة

السعادة، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ٥-٨.

العربى المستمرة مع القبائل العربية فى الشمال، وعلاقاتهم المعقدة مع البيزنطيين والأحباش والفرس، فكان العرب البدو فى قلب الصراع البيزنطى الساسانى لكلا الجانبين، وكان من بين هذا التفاعل اتصالات عرب الحجاز مع الحضارات المجاورة فى العصر الجاهلي، وساعد على هذا البيئة العربية وتفاعل البدو والجماعات المستقرة الذى انطلق منذ آلاف السنين واستمر طوال الجاهلية وما انتجه من تواصل والتفاف ثقافى مع الشرق والذى اثمر استقرارهم فى مراكز ثقافية فتحوّلت هذه المجتمعات الحضارية الى علاقات ومصالح مشتركة وتعايش اثمر الكثير من المؤثرات، ومركز تيماء مثلاً على هذا^(١)، وامتد هذا التفاعل إلى مصر حيث ساعد عرب الجاهلية وسكان الصحراء السورية وسيناء قميّيز خلال حملته على مصر عام ٥٢٥ و ٥٢٧ قبل الميلاد^(٢).

نتيجة لذلك كله فإنه من الطبيعى أن يكون من بين نتائج هذا التواصل بعض المفاهيم التي عاشها العرب والتي من الممكن أن تكون دخيلة عليهم، ولذلك تم الربط بين نكاح الاستبضاع مع نوع من أنواع النكاح المذكور فى كتب القانون الساسانى، حيث كان الرجل منهم يقول لزوجته، بعد أن انتهت لتوها من الحيض "اذهبي إلى هذا واطلبى منه الجماع للحصول على ذرية"، فيفصل زوجها نفسه منها ويلتزم بعدم

(١) أنظر:

Young, Walter, **Stoning and Hand-Amputation: The pre-Islamic origins of the Add penalties for zina and sariqa**, Master of Arts, Institute of Islamic Studies, McGill University, Montreal, 2005, pp. 100-101.

(٢) أنظر عن علاقات عرب الجاهلية وعلاقاتهم الايرانية ومع مصر القديمة خلال هذه الفترة وما انتجته من مؤثرات:

Young, Walter, op. cit., pp. 105-108.

لمسها حتى يظهر حملها من ذلك الرجل. وبمجرد أن يتضح، يمكن لزوجها أن يستأنف العلاقات الجنسية معها إذا رغب"^(١)، وليس من المستغرب أن يكون هذا من نتائج التفاعل عبر قرون عديدة.

وكان من بين ما عرفه القانون في بلاد الرافدين زواج مشابه للإستبضاع لدى عددًا ليس بالقليل من الرجال سعوا به للحصول على الأولاد دون أن يتزوجوا من امرأة ثانية على زوجاتهم، حيث توجهوا صوب عدد من النساء الولادات اللواتي كُنَّ بحكم الأجيرات أو الممتهنات لأجارة الأرحام لتجنبن لهم الذكور، وقد عملوا على إيجاد الحلول المناسبة بالتبني لدى السومريين والأكاديين لمواجهة مشكلة العقم^(٢)، ومارس سكان بلاد الرافدين مايسمى بالزواج المقدس، تجسيداً لقدسية الملوك وما نسجته الأساطير عن مولد بعض ملوكهم، وجاء الزواج المقدس بسبب الوفرة في المحاصيل والكثرة في الثروة الحيوانية، فقد مارسه السكان كل سنة، والطفل الذي يولد عن هذا الزواج يُعد من مرتبة الآلهة، لأنه قد ولد في لحظة مقدسة ومن أبوين يمثل كل منهما دور الإله^(٣).

(١) أنظر:

Young, Walter, op. cit., p. 188.

(٢) Sabee, Ahmed Naji; Nayef, Samraa Hamed, **Womb leasing in ancient Iraq, analytical study for a legal code from the law of Lipt-Ishtar**, ISIN A Journal of Archaeology, History and Ancient Languages, Issue 3, University of Al-Qadisiyah, January-June 2022, pp. 9-23.

(٣) سمار، سعد عبود، المقدس الشخصي عند العرب قبل الإسلام، مجلة كلية التربية جامعة واسط، العدد العاشر، يونيو ٢٠١٨، واسط، ص ١٧١.

وفى مصر القديمة كان تقديس الخصوبة والإنجاب الذى كان لالهته الشهرة والمكانة الكبيرة^(١)، وشغل الفراعنة بنسلهم الذكوري، ومما يدل على هذا أن اشترط معظم الفراعنة لتولى العرش منذ الأسرة الأولى وعبر عصورها المختلفة تولى الأبن الذكر عرش مصر، بل والسعى لاثبات نسبه للدم الملكى للملك الوالد^(٢)، ولم يكن الملك ممثلاً للآلهة، وإنما كان إلها وكان صاحب سلطان دائم وأحد الآلهة والوسيط الرسمى بين الناس والآلهة. وظهرت الأهرامات لتدل على قوة الملك وأزلية الملك وسلطته التى لا تنتهى بالموت^(٣).

(١) أنظر:

Hansen, Nicole Bernadette, **Motherhood in the Mother of the World: Continuity and Change of Reproductive Concepts and Practices in Egypt from Ancient to Modern Times**, Vol. One, The Faculty of the Division of the Humanities, Thesis for degree of Doctor Philosophy, Department of Near Eastern Languages and CivilizationsI, The University Chicago, Chicago, Illinois, 2006, pp. 11, 140.

(٢) ويسود هذا التوجه حضارات الشرق الأدنى القديم، ومن بينها مصر القديمة، حيث تعرض المراجع المتخصصة فى تاريخها حرص ملوكهم على أن يخلفهم ابنائهم الذكور، وعن تكرار هذا التوجه خلال الأسرات المختلفة فى مصر القديمة أنظر: نور الدين، عبد الحليم: **تاريخ وحضارة مصر القديمة، الطبعة الثانية، الخليج العربى، للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٩ م.** وكذلك أنظر: على، رمضان عبده: **تاريخ مصر القديمة، الجزء الأول والثانى، دار نهضة الشرق، القاهرة، ٢٠٠١ م.**

(٣) سمار، المرجع السابق، ص ١٧١-١٧٢.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

المصادر والمراجع العربية:

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، ج١٣، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٢م.
- الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج٢، تحقيق: يوسف إبراهيم سلوم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م.
- برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٩٦م.
- البكري، أبو عبيد الأنوبي، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ج٢، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٣٥م.
- الترمانيني، عبدالسلام، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤.
- جمعة، محمد محمود، النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٤٩م.
- الجوزو، مصطفى، العصر الجاهلي من خلال كتاب الأغاني ومصادر أخرى، رسالة دكتوراة، جامعة السوربون، باريس الرابعة، ١٩٧٣م.
- الدنيوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الاخبار، ج٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٤٣هـ.
- الربيعي، فاضل، شقيقات قريش الأنساب الزواج والطعام في الموروث العربي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م.
- سمار، سعد عبود، المقدس الشخصي عند العرب قبل الإسلام، مجلة كلية التربية جامعة واسط، العدد العاشر، يونيو ٢٠١٨، واسط، ١٦٩-٢٠٨.
- الضبي، الفضل بن محمد، أمثال العرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١هـ.

على، رمضان عبده: تاريخ مصر القديمة، الجزء الأول والثاني، دار نهضة الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م.

ابن منظور، جمال الدين الانصاري الرويفعي الافريقي، لسان العرب، ج٩، تحقيق: اليازجي وغيره آخرون، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

ناصر، نجاه، "ظاهرة زواج الأقارب وعلاقته بالأمراض الوراثية/ منطقة تلمسان نموذجاً - مقارنة انثروبولوجية بيولوجية"، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ٢٠١٢م.

نور الدين، عبد الحليم: تاريخ وحضارة مصر القديمة، الطبعة الثانية، الخليج العربي، للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٩ م.

المراجع الاجنبية:

- Hansen, Nicole Bernadette, **Motherhood in the Mother of the World: Continuity and Change of Reproductive Concepts and Practices in Egypt from Ancient to Modern Times**, Vol. One, The Faculty of the Division of the Humanities, Thesis for degree of Doctor Philosophy, Department of Near Eastern Languages and CivilizationsI, The University Chicago, Chicago, Illinois, 2006.
- Sabee, Ahmed Naji; Nayef, Samraa Hamed, **Womb leasing in ancient Iraq, analytical study for a legal code from the law of Lipt-Ishtar**, ISIN A Journal of Archaeology, History and Ancient Languages, Issue 3, University of Al-Qadisiyah, January-June 2022.
- Young, Walter, **Stoning and Hand-Amputation: The pre-Islamic origins o f the hadd penalties for zina and sariqa**, Master of Arts, Institute o f Islamic Studies, McGill University, Montreal,2005.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

تجربة الوحدة بين مصر واليمن وأثرها على العلاقات بين البلدين

١٩٥٨-١٩٦٢

إعداد

حسين محمد حسن علي

huseinmallack1@aswu.edu.eg

المخلص

يتناول البحث تجربة الوحدة بين مصر واليمن منذ عام ١٩٥٨م إلى ١٩٦١م، حيث يوضح البحث حيثيات الوحدة بين البلدين، ومن الذي بدأ بطلب الوحدة، وأسباب طلب اليمن لهذه الوحدة، وأثارها الإيجابية والسلبية على مصر واليمن، كما يتناول البحث ميثاق الاتحاد، وبنوده، وما هي البنود التي تم تفعيلها، وما البنود التي لم تفعل، كما يتطرق البحث إلى أن هذا الاتحاد وإن كان مكتمل الأركان من الناحية القانونية، إلا أنه لم يفعل فعلياً؛ والسبب عدم جدية اليمن في وجود اتحاد بين الدولتين، كما يوضح البحث أسباب قصر مدة عمر الاتحاد، والأسباب التي أدت إلى إنهاء هذا الاتحاد، وتأثير إنهاءه على العلاقات المصرية اليمنية.

Summary

The research deals with the experience of unity between Egypt and Yemen from 1958 AD to 1961 AD, where the research explains the rationale for unity between the two countries, who initiated the request for unity, the reasons for Yemen's request for this unity, and its positive and negative effects on Egypt and Yemen. Which has been activated, and what items have not been done, as the research deals with that this union, although legally complete, but it did not actually do; The reason is Yemen's lack of seriousness in the existence of a union between the two states. The research also explains the reasons for the short duration of the union's life, the reasons that led to the termination of this union, and the impact of its termination on the Egyptian-Yemeni relations.

تجربة الوحدة بين مصر واليمن (١٩٥٨-١٩٦١م)

وأثرها على العلاقات بين البلدين

ظهرت فكرة المشاريع الحدودية في المنطقة العربية بانعقاد المؤتمر العربي الأول الذي انعقد في باريس عام ١٩١٣م، وكان يسعى هذا المؤتمر لعمل إصلاحات في الدولة العثمانية، أن يشترك العرب في إدارة المركزية للبلاد إدارة فعلية، مع عمل حكومات لا مركزية في المنطقة العربية، ونتج عن هذا المؤتمر الاتفاق مع مندوبي الحكومة العثمانية أن التعليم يكون داخل الأراضي العربية بلسان عربي وأن يكون مديري الإدارات عارفي باللغة العربية وإدارة الأوقاف تكون من نصيب الإدارات المحلية، وأن يتم التجنيد في البلدان القريبة من الأراضي العربية^(١).

وكان ثاني فكرة مشروع وحدة عربية عندما اتفق الأمير فيصل بن الحسين ومصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٠م على عدم الاعتراف بتقسيم الدولة العثمانية والبلاد العربية، ولا باحتلالها من الأجانب، واعتراف الدولة العثمانية بنظام واحد يطبق على ولايات الحجاز وفلسطين والعراق والمدينة ودمشق وبيروت وحلب، وأن تعترف الدولة العثمانية بسيادة الشريف حسين على هذه البلاد شريطة أن تبقى مرتبطة بالدولة العثمانية، وذكر اسم السلطان العثماني في خطبة الجمعة في البلاد التي يربط فيها جيش الشريف^(٢).

(١) المؤتمر العرب الأول المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سن جرمن بباريس من يوم الأربعاء ١٨ أبريل ١٩١٣ إلى يوم الاثنين ٢٣ أبريل ١٩١٣م، صدر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر، مطبعة البوسفور بشارع عبدالعزيز أمام سراي شريف باشا، القاهرة، ١٩١٣م.

(٢) عادل أرسلان: مذكرات الأمير عادل أرسلان ١٩٣٤-١٩٤٥م، تحقيق يوسف إيبش، ج١، ط٢، الدار القديمة، لبنان، ٢٠٠٩، ص ٣٥-٣٦. وأنظر أيضًا وأنظر أيضًا يوسف خوري: المشاريع الحدودية العربية (١٩١٣-١٩٨٩م) دراسة توثيقية، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت يوليو ١٩٩٠م، ص ٥.

كما وجد محاولة للاتحاد ضد الدول الغربية بين العرب والأتراك وأن تكون القوات العربية والتركية تحت قيادة واحدة وإذا انتصروا يعيش العرب والأتراك كدولة واحدة ولكن لكلا منهم حكم ذاتي خاص به، ويعتبر أكبر المشاريع الوحدوية التي عملت على تجميع الدول العربية هي الجامعة العربية، حيث كانت فكرته مطروحة منذ مؤتمر باريس للعرب، ولكن لم تضح شكلها وملامحها الواضحة سوى بعد الحرب العالمية الثانية واستقلال بعض الأقطار العربي، وكان لتشجيع بريطانيا في عام ١٩٤١م لهذه الوحدة أثناء الحرب العالمية الثانية أثره في الساسة العرب الذين عملوا على تجميع بعضهم، حيث اتفق رئيس وزراء مصر عام ١٩٤٢م مصطفى النحاس ورئيس وزراء سوريا جميل مردم والشيخ بشارة الخوري رئيس الكتلة الوطنية في لبنان من أجل إقامة جامعة عربية ولكن لم يبدأ العمل فيها سوى بعدها بعام عندما قدم نوري السعيد رئيس وزراء العراق مذكرة إلى بريطانيا في يناير ١٩٤٣م، كان فحواها توحيد سوريا ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين في دولة عربية واحدة، وإنشاء مجلس دائم للجامعة يتولى شؤون الدفاع والخارجية والعملة والمواصلات والجمارك وحماية حقوق الأقليات وإقام إدارة ذاتية لليهود في المناطق التي يشكلون فيها أكثرية سكانية في فلسطين^(١)

ولكن الحكومة البريطانية رفضت مذكرة نوري السعيد خشية أن يثير الدعاية ضد الصهيونية وإثارة الجماهير العربية ضد بريطانيا، وبعدها اتجه نوري السعيد للمباحثات العربية العربية، حيث توجه برسالة لمصطفى النحاس في ١٧ مارس ١٩٤٣م ورسالة أخرى للملك عبدالعزيز ملك السعودية لعرض عليهم فكرة مؤتمر، وبعد مشاورات كان الاتفاق على شكلين للوحدة العربية، حيث الشكل الأول يدعو للوحدة الفيدرالية بين الدول العربية، وكان هذا الشكل تتبناه حكومة سوريا، أما الشكل الآخر فجامعة تسمح بالتعاون بين الأقطار العربية وكان هذا الرأي مؤيد من قبل الدول العربية الباقية ما عدا مصر والتي لم تؤيد أي من الشكلين، وتم الاجتماع في

(١) أحمد فارس عبدالمعنى: جامعة الدول العربية ١٩٤٥-١٩٨٥م دراسة تاريخية وسياسية، مركز

دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٢-١٥.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

الاسكندرية في أكتوبر ١٩٤٤م لوضع بروتوكول الاسكندرية وهو حجر الأساس لميثاق الجامعة العربية، ثم انعقد البروتوكول الفرعي في مارس ١٩٤٥م في الاسكندرية أيضاً ومنه بدأت الجامعة العربية والتي تعتبر أكبر مشروع وحدوي لتجميع العرب، وإن لم يكن مشروع لربط الحدود وإنما لزيادة الروابط العربية^(١).

حدثت الوحدة بين صفتي الأردن الشرقية التابعة للأردن والضفة الغربية في ٢٤ أبريل ١٩٥٠م، والتي تعتبر من الأراضي الفلسطينية وقد اعترفت بريطانيا بهذا الاتحاد وبإعلان إمارة شرق الأردن تغيير الاسم إلى المملكة الأردنية الهاشمية وأن يصبح الجزء الفلسطيني ضمن أراضيها بعد إعلان حق تقرير المصير^(٢).

كما وجدت محاولة في شهر يونيو ١٩٥٠م من أجل توحيد العراق والأردن وقد كانت العراق هي المتبناة للمشروع، وقد اعتبر أن المملكتين متحدتان مع حفاظ كلاً منهما بكيانهما الداخلي والتشريعي لمدة خمس أعوام، كما عرض ناظم القدسي رئيس وزراء سوريا عام ١٩٥١م مشروع لاتحاد الدول العربية، وكان الغرض منه توحيد الجهود ضد خضر إسرائيل على العرب^(٣).

(١) أحمد فارس عبدالمنعم: جامعة الدول العربية ١٩٤٥-١٩٨٥م دراسة تاريخية وسياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٢-١٥.

(٢) عبدالله بن الحسين: الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين حقبة من تاريخ الأردن، الدار المتحدة للنشر، لبنان، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٣) يوسف خوري: مرجع سابق، ص ٢٥٧-٢٥٨.

كان المشروع المصري السعودي السوري عام ١٩٥٥م للقيام بوحدة بين الثلاث دول من المشروعات التي نوقشت وعرضت للتنفيذ وقد كان المشروع من اقتراح خالد العظم وزير خارجية سوريا، وقد اقترح أن يكون الاتحاد في الشؤون الاقتصادية والسياسية والعسكرية، كما اقترح ادمون رباط مشروع لاتحاد فيدرالي بين الدول العربية، وقد أعلنت مصر وسوريا عن اتفاقية دفاع مشترك في نفس العام^(١).

أعلنت مصر وسوريا عام ١٩٥٦م بدأ المباحثات من أجل تحقيق اتحاد فيدرالي بينهم، وقد وافق عليه مجلس النواب المصري والسوري والذي أكتمل أركانه ووضع الدستور الخاص به في فبراير عام ١٩٥٨م لتعلن قيام الجمهورية العربية المتحدة، والتي تركت الباب مفتوح لدخول أي دولة عربية لهذا الاتحاد^(٢).

كانت العلاقات السياسية المصرية اليمنية تتمثل في علاقات شد وجذب يتحكم فيها الإمام أحمد، حيث كانت مصر ترسل البعثات المختلفة، وكان الإمام أحمد يحدد طريقة عملها باليمن، حتى قرر الإمام عام ١٩٥٨م الدخول في الاتحاد الذي كانت مصر وسوريا يعقدانه وقد تمثل هذا الاتحاد في اتحاد شكلي بين البلدين لم يكتب له النجاح، حيث كان الاتحاد لمدة ثلاث أعوام اسمياً إلا أنه كان له ميثاق عام تم الاتفاق عليه بين الطرفين، وإن لم ينفذه؛ بسبب عدم جدية اليمن في ذلك.

(١) يوسف خوري: مرجع سابق، ص ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) خالد العظم: مذكرات خالد العظم، ج ٣، ط ٢، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣م، ص ص ١٢٦-١٢٧.

وبدأ التفكير في هذا الاتحاد من جانب اليمن كان الاتحاد^(١) بناء على رغبة الإمام أحمد^(٢) والذي أرسل ولي عهده الأمير البدر^(٣) إلى دمشق لمقابلة جمال عبدالناصر حاملاً معه برقية من الإمام^(٤)، فقد أبلغه رغبة الإمام أحمد في الانضمام

(١) كان هذا الاتحاد المصري اليمني نتيجة لإعلان ايزنهاور(Dwight David Eisenhoer)الرئيسي الأمريكي مشروع ايزنهاور والطامح فيه لملء مكان الاستعمار السابق منعاً لتدخل الاتحاد السوفيتي في المنطقة، مما جعل مصر واليمن يرفضون هذا المشروع، وتواجد الغرب مرة أخرى في المنطقة واتفقوا على تكوين اتحاد مشترك بينهم. أنظر: رجاء رحيم مرسول: أثار التدخل العسكري المصري في اليمن ١٩٦٢-١٩٦٧م دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠١٠م، ص ٥٩.

(٢) الإمام أحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين(١٣١٣-١٣٨٢هـ/١٨٩٥-١٩٦٢م) ملك اليمن والإمام الزبيدي، ولد في بلاد حاشد باليمن الشمالي، ونشأ في حجر جده المنصور بالله محمد بن يحيى، تولى حكم اليمن ١٩٤٨م خلفاً لأبيه الإمام يحيى بن حميد الدين، بعد أن كاد يذهب العرش بسبب ثورة عبدالله بن الوزير، اختار تعز لتكون عاصمة له؛ حيث كان يكره الإقامة في صنعاء، توفي في تعز، ودفن في صنعاء. أنظر خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ١، ط ٧، دار العلم للملايين، بيروت، مايو ١٩٨٦م، ص ٢٧١.

(٣) الإمام محمد البدر: محمد بن أحمد حميد الدين(١٣٤٧-١٤٧٤هـ/١٩٢٩-١٩٩٦م) آخر الأئمة الحكام اليمنيين من بيت القاسم بن محمد، لقب بالبدر مثل عمه البدر الغريق، درس علوم الدين، وعندما التحق بوالده في تعز درس الأدب، عينه والده ولياً للعهد اليمني، فقد عرشه بثورة عليه في سبتمبر ١٩٦٢م. أنظر أحمد جابر العفيف: الموسوعة اليمنية، المجلد الأول، ط ٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، يناير ٢٠٠٣م، ص ٤٨١.

(٤) كانت برقية الإمام أحمد إلى الرئيس جمال عبدالناصر عبارة عن رسالة قال فيها " لقد استخرت النجوم، وبعد الحساب الطويل، بين لنا أن نجمكم يكسف نجم الآخرين ويغطي عليه، ولهذا نريد أن ننضم إليكم والولد البدر في طريقه لعدكم لبحث الأمور ونقل رأينا" أنظر الأهرام: عدد ٢٧٤١١. ٢٩ ديسمبر ١٩٦١م، وأنظر أيضاً يوسف خوري: المشاريع الوحدوية العربية(١٩١٣-١٩٨٩م) دراسة توثيقية، ط ٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت يوليو ١٩٩٠م، ص ٣٦٧.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

إلى الجمهورية العربية المتحدة^(١) حيث تم توقيع الاتحاد في مارس ١٩٥٨م بين جمال عبدالناصر وبين الأمير محمد البدر ممثلاً عن والده الإمام أحمد بن يحيى بن حميد الدين، وبمقتضاه يلغى التمثيل الدبلوماسي بين البلدين ويتبعان سياسة خارجية واحدة، مع احتفاظ كل دولة بشخصيتها الدولية وبنظام الحكم الخاص بها، مع تولي التمثيل السياسي والقنصلي للاتحاد في الخارج هيئة واحدة في الأحوال التي يقرها الاتحاد ويكون لهم جيش اتحادي موحد، وسياسة اقتصادية واحدة^(٢).

كان لهذا الاتحاد مجلس أعلى مكون من عبدالناصر والإمام أحمد ومجلس اتحادي مكون من ٦ ممثلين عن الجمهورية العربية المتحدة و٦ يمينيين، ولجنة الشؤون العسكرية، مع خضوع أي قوات من الجمهورية العربية المتحدة ترسل لليمن للحكومة اليمنية^(٣)

(١) الجمهورية العربية المتحدة: هو اتحاد كان يضم مصر وسوريا وانضمت له اليمن، سمي بالدول العربية المتحدة، وترك مفتوح لمن يرغب الدخول فيه، ولكن سبب هذا الاتحاد انزعاج للملك سعود بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية، كما انزعج منه ملك العراق وملك الأردن وكميل شمعون رئيس جمهورية لبنان. أنظر عبداللطيف البغدادي: مذكرات عبداللطيف البغدادي، ج٢، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ص٤٧. وأنظر أيضاً يوسف خوري: مرجع سابق، ص٣٦٧.

(٢) عبداللطيف البغدادي: مصدر سابق، ص٤٧. وأنظر بطرس بطرس غالي: الناصرية وسياسة مصر الخارجية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦، ١٩٦٩م، ص١٣٠. وأنظر يوسف خوري: مرجع سابق، ص٣٦٧. وأنظر أيضاً

F.R.U.S: NEAR EAST REGION IRAQ IRAN ARABIAN PENISULA1958-1960, VOLUME XII, Document360, Memorandum from the Director of the Office of Near Eastern Affairs Rockwell) to the Assistant Secretary of State for Near Eastern South Asian and African Affairs (Rountree), Yemen Developments since your Departure, Washington, 21February 1958.

)3(F.R.U.S: NEAR EAST REGION IRAQ IRAN ARABIAN PENISULA1958-1960, VOLUME XII, Document361, Background Paper From the Assistant Secretary of State for Near Eastern South Asian and African Affairs (Rountree) =to the Under Secretary of State (Herter),Document361, Washington, 4 march 1958.

وكان لهذا الاتحاد ٣٢ مادة، حيث نصت المادة الأولى للاتحاد بإنشاء اتحاد يسمى الدول العربية المتحدة، ويتكون من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية والدول العربية التي تقبل الانضمام إلى هذا الاتحاد، بينما نصت المادة الثانية باحتفاظ كل دولة بشخصيتها الدولية وبنظام الحكم الخاص بها، بينما نصت المادة الثالثة إن مواطنو الاتحاد متساوون في الحقوق والواجبات العامة، والمادة الرابعة لكل مواطن في الاتحاد حق العمل تولي الوظائف العامة في البلاد المتحدة دون تفرقة في حدود القانون، والمادة الخامسة تتبع الدول الأعضاء السياسة الخارجية الموحدة التي يضعها الاتحاد، والمادة السادسة حرية التنقل في الاتحاد مكفولة في حدود القانون والمادة الثامنة يكون للاتحاد قوات مسلحة موحدة، والمادة التاسعة تنظم الشؤون الاقتصادية للاتحاد وفقاً لخطط مرسومة تهدف إلى تنمية الإنتاج واستغلال موارد الثروة الطبيعية وتنشيط النشاط الاقتصادي، والمادة العاشرة ينظم الاتحاد شؤون النقد في الاتحاد^(١).

بهذا الاتحاد استهدفت مصر إخراج اليمن من عزلتها، بينما استهدف الإمام أحمد إمام اليمن من هذا الاتحاد استرضاء المعارضة، والاستفادة من العون العسكري والسياسي المصري ضد الحكومة البريطانية في الجنوب اليمني، وتقوية ابنه البدر ضد منافسيه على ولاية العهد، بالإضافة لحاجته للخبرات الفنية لمحاربة الجهل والتخلف؛ ومن أجل ذلك أرسلت مصر عدة بعثات عسكرية واقتصادية وزراعية لإدخال الإصلاحات الضرورية لليمن^(٢).

(١) الحياة اللندنية، عدد ٣٦٥٢، ٩ مارس ١٩٥٨م، ص ١-٢، وأنظر أيضاً عبدالعزيز المقالح: عبدالناصر واليمن فصول من الثورة اليمنية، ط ٢، دار الحداثة للنشر، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٣١-٣٢. وأنظر أيضاً يوسف خوري: مرجع سابق، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) رجاء رحيم مرسول: مرجع سابق، ص ٦١.

مع بداية عام ١٩٥٩م قامت حكومة اليمن بطرد البعثة العسكرية المصرية^(١) المكلفة بإدارة الكلية الحربية في اليمن؛ نتيجة اشتباه بتورط بعض عناصر البعثة في قلب نظام الحكم في اليمن^(٢)، ومن نتائج ذلك لم يفعل الإمام أحمد بنود الاتحاد المصري اليمني، وإنما كان اتحاد شكلياً^(٣) غير حقيقي، فلم يجتمع مجلس الاتحاد إطلاقاً، واقتصر شكل الاتحاد على تصريحات المسؤولين اليمنيين بوجود اتحاد رسمي بين مصر واليمن^(٤)، وعلى الرغم من توتر العلاقات بخصوص البعثة العسكرية إلا إنه حدث عام ١٩٥٩م لقاء بين جمال عبدالناصر وبين الإمام أحمد حميد الدين في بورسعيد أثناء عودة الإمام من رحلة علاج من إيطاليا^(٥)، وفي ١٨ نوفمبر ١٩٦١م أعلن الإمام أحمد تجديد الاتحاد لثلاث أعوام أخرى^(٦).

تأثير الاتحاد المصري اليمني عام ١٩٥٨م على العلاقات الاقتصادية:

وقعت مصر واليمن في مارس ١٩٥٨م على ميثاق اتحاد الدول العربية المتحدة، وتركت الباب مفتوح لانضمام الدول العربية الأخرى، التي يمكن الاحتفاظ بشخصيتها الدولية ونظامها الخاص في الحكم، مع توحيد الدول الأعضاء لقواتهم

(١) كان الاتهام بتورط بعض أعضاء البعثة العسكرية المصرية الثالثة في انقلاب هو السبب الظاهر، ولكن الأسباب الداخلية تغيير القيادة العسكرية للبعثة العسكرية الثالثة، الأمر الذي جعل الأمير البدر يحتاط منهم ويطلب تغيير رئيس البعثة الجديد. أنظر: صلاح الدين المحرزي: الصمت الحائر وثورة اليمن، (د. ن) القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٠٥.

(٢) عبدالوهاب العقاب: مرجع سابق، ص ٨٥.

(٣) عارضت الحكومة البريطانية في عدن هذا الاتحاد وحاربت به بالدعاية ضد اتحاد عربي عربي؛ لعدم رغبتها في سيطرة عبدالناصر على المنطقة العربية وتكوين اتحاد يرمي إلى إخراجها من عدن ومن المنطقة العربية بأكملها، بالإضافة إلى الضغط السعودي على الإمام أحمد لمنعه تفعيل الوحدة مع مصر. أنظر وجيه أبو ذكري: مصدر سابق، ص ١١. وأنظر أيضاً رجاء رحيم مرسل: مرجع سابق، ص ٦٢.

(٤) رجاء رحيم مرسل: مرجع سابق، ص ٦٢.

(٥) وجيه أبو ذكري: الزهور تدفن في اليمن، ط ٢، دار الصحافة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٢٥.

(٦) يوسف خوري: مرجع سابق، ص ٣٧٧م.

المسلحة وسياستهم الخارجية والاقتصادية وتنسيق سياسة التعليم، حيث نص هذا الاتحاد اقتصادياً على إنشاء اتحاد جمركي بين الدول المتحدة، ولكل مواطن في الاتحاد حق العمل وتولي الوظائف في أي دولة من دول الاتحاد على حسب ما يتفق عليه القانون.

كما نص الاتحاد على أن المجلس الأعلى مختص برسم السياسة العليا للاتحاد، وإصدار القوانين اللازمة بعد موافقة السلطات المختصة في كل دولة، ويشرف المجلس على شؤون الاتحاد الاقتصادية وفقاً لخطط تهدف لتنمية الإنتاج واستغلال موارد الثروة الطبيعية، وتنشيط النشاط الاقتصادي.

كانت وظيفة المجلس الاقتصادي التابع لمجلس الاتحاد رسم السياسة العامة للشؤون الاقتصادية بما يناسب أهداف الاتحاد وتنسيق أوجه النشاط الاقتصادي في الدول أعضاء الاتحاد، كما وضعت الخطط لاستغلال الموارد الطبيعية، وإنعاش التجارة وتقويتها، وحركة انتقال لرؤوس الأموال بين الدول الأعضاء في الاتحاد، مع تنظيم حركة التجارة الخارجية للاتحاد، وكانت وظيفة المجلس الاقتصادي هي حركة الوصل بين مجلس الاتحاد وهيئات الإدارة الاقتصادية في الدول أعضاء الاتحاد.

أما فيما يخص المؤسسة النقدية لليمن، فقد تم وضع قانون من قبل الاتحاد لإنشاء مؤسسة نقدية لليمن^(١) يقوم البنك المركزي بالجمهورية العربية المتحدة بإنشاء المؤسسة النقدية المركزية لليمن ويكون لها وحدها حق اصدار أوراق النقد اليمني، وتتولى السياسة الائتمانية والمصرفية للبنك وتشرف على تنفيذها وفقاً للخطة العامة التي يحددها الاتحاد، طبقاً لكيفية دعم الاقتصاد واستقرار النقد اليمني وتأكيد الوحدة الاقتصادية بين البلدين.

(١) كان هذا القانون رقم ثلاثة بالنسبة لقوانين الاقتصاد في الاتحاد الجديد. أنظر: يوسف خوري:

كما نص قانون الاتحاد^(١) الخاص بتنسيق النظام النقدي في الدول العربية المتحدة أن تقوم المؤسسة النقدية المركزية لليمن بإصدار أوراق النقد اليمني وسك عملة نقدية فضية، وإصدار أوراق تسمى الريال اليمني يكون لها نفس القيمة الاسمية التي لريال ماريا تاريزا، وتكون الوحدة القياسية للعملة في اليمن هي الجنيه اليمني ويثبت سعر صرفه للجنيه المصري على أساس التساوي ويحدد العلاقة بين الجنيه اليمني والريال اليمني على أن تكون جزءاً من العملة الورقية ويكون الغطاء لهم في جزء من أدونات من خزانة الجمهورية العربية المتحدة^(٢).

كما كان من نتائج الاتحاد^(٣) البدء في دراسة دمج شركة الطيران المصرية مع شركة الطيران اليمنية في شركة واحدة، مع فتح خط طيران جديد بين مصر واليمن، بعد دراسة الحالة الفنية للطيران اليمني^(٤).

(١) ألغي هذا الاتحاد طبقاً لخطاب القاه جمال عبدالناصر في ٢٦ ديسمبر ١٩٦٢م، وبالتالي توقف مشروعات التنمية الاقتصادية لحين قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢م. أنظر دار الوثائق القومية المصرية، محافظ التجارة والمبيعات، كود أرشيفي(0079/007858)، العلاقات المصرية اليمنية من ١٩٦٢م إلى ١٩٦٤م، وزارة الاقتصاد الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية المراقبة العامة للاقتصاد الخارجي، اقتصاديات الجمهورية العربية اليمنية والعلاقات الاقتصادية بينهم وبين الجمهورية العربية المتحدة، صلاح الدين عبده جلال مراقب الاقتصاد الخارجي، مارس ١٩٦٣م، ص ١٣. وأنظر: يوسف خوري: مرجع سابق، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٢) دار الوثائق القومية المصرية، محافظ التجارة والمبيعات، كود أرشيفي(0079/007858)، العلاقات المصرية اليمنية من ١٩٦٢م إلى ١٩٦٤م، وزارة الاقتصاد الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية المراقبة العامة للاقتصاد الخارجي، اقتصاديات الجمهورية العربية اليمنية والعلاقات الاقتصادية بينهم وبين الجمهورية العربية المتحدة، صلاح الدين عبده جلال مراقب الاقتصاد الخارجي مارس ١٩٦٣م، ص ١٢-١٣. وأنظر يوسف خوري: مرجع سابق، ص ٣٦٧.

(٣) صرح الأمير البدر ولي عهد اليمن بذلك لجريدة الأهرام أثناء زيارته للقاهرة لمقابلة بعض المسؤولين المصريين، حيث قال إنهم يدرسون دمج الشركتين في شركة واحد لتدعيم الخطوط الجوية اليمنية. أنظر الأهرام، ٣١ أغسطس ١٩٥٨م، ص ١٢١-١٢٢.

(٤) الأهرام، ٣١ أغسطس ١٩٥٨م، ص ١٢١.

انهيار الاتحاد المصري اليمني

تغير موقف القيادة المصرية تجاه اليمن الإمامية عقب الانفصال عن سوريا، سواء الشأن العام المتعلق بالموقف الثوري أو هجوم الإمام أحمد على الرئيس عبد الناصر والنظام المصري عن طريق خطابات وقصائد كان يلقيها^(١)، حيث هاجم الإمام أحمد حكومة عبدالناصر منتقداً تبني مصر للنظام الاشتراكي، فرد عليه عبدالناصر بمهاجمة الرجعية وطالب بإسقاطها في إعلان رغبته القضاء على الرجعية في المنطقة العربية^(٢).

نتيجة الصراع الإعلامي بين عبدالناصر والإمام أحمد أعلن عبدالناصر حل الاتحاد العربي، حيث أصدرت القاهرة بيان في ٢٧ سبتمبر ١٩٦١م ضمنته أسباب لإنهاء الاتحاد وهي "أولاً: أنه لا يوجد في طبيعة أي الحكومتين ما يجعل هذا الاتحاد كأداة سياسية فعالة قادرة على الإسهام الإيجابي في تطور النضال، ومن هذا الاختلاف تختلف نظرة كل منهما للأمور، إلا أنه من المتعين مواجهة هذا الاختلاف بعد سنوات حاسمة من التجربة، خصوصاً وأن الجمهورية العربية المتحدة تشعر بالتزامها أمام حركة الجماهير العربية سعياً للوصول للحل الاجتماعي.

ثانياً: أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تجد التزاماً عليها أن تحدد موقفها من قضايا الوحدة والاتحاد في جلاء يلبسه شك، وموقف الوحدة والاتحاد في جلاء لا يلبسه شك، وموقف الجمهورية العربية المتحدة من قضية الوحدة والاتحاد لا

(١) هاجم الإمام أحمد حكومة عبدالناصر في قصيدة ألقاها قال فيها "هيا بنا لوحدة مبنية على أصول بيننا مرضية... قانونا شريعة الإسلام قدسية الأوصاف والأحكام... ليس بها شائبة من البدع تجيز ما الإسلام عنه قد منع... ما أخذ ما للناس من أموال وما تكسبوا من الحلال... فأخذ مال الناس بالإرغام جريمة في شريعة الإسلام. فكان رد عبدالناصر على هذه القصيدة في خطاب ألقاه بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٦١م في بورسعيد هاجم فيها الرجعية مطالباً بتغيرات فيها. أنظر صلاح الدين الحديدي: شاهد على حرب اليمن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٣٠، وأنظر أيضاً يوسف خوري: مرجع سابق، ص ٣٧٧.

(٢) أحمد يوسف أحمد: الدور المصري في اليمن، مرجع سابق، ص ١٠٧.

يمكن أن يقوم على أسس صحيحة ما لم يكن هناك توافق بينها وبين الأطراف التي يعينها الأمر على حل مشاكل التطور الاجتماعي، وإذا كانت حكومة الجمهورية العربية المتحدة تعتقد في إيمان راسخ بأن الاشتراكية هي الحل الصحيح لمشاكل الواقع العربي، فإنها في نفس الوقت وبكل إيمانها الذي لا يتزعزع بحتمية الوحدة ترى أن توافق النظرة الاجتماعية حيوية لإنجاح تجربة الوحدة.

ثالثاً: أن الجمهورية العربية المتحدة أقبلت على خطوة إقامة الاتحاد العربي تملؤها الآمال بأن تستطيع هذه الخطوة أن تكون أداة في خدمة الشعب اليمني وخدمة قضاياه العادلة، ولكن تجارب السنوات الماضية أكدت بما لا يقبل مجالاً للشك أن الشعب اليمني لم يستفد من التجربة، وأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة وهي تقدم على هذه الخطوة تتمنى بإخلاص لو أدركت حكومة اليمن الموقف الذي دفعها لذلك"، وبهذا البيان أعلنت حكومة الجمهورية العربية المتحدة إنهاء الاتحاد الشكلي بينها وبين اليمن لتبدأ مرحلة جديدة تعمل فيها مصر على إبعاد اليمن عن التحالفات والرجعية في العالم^(١).

رغم إعلان عبدالناصر إنهاء الوحدة مع اليمن إلا إنه أكد على أن الجمهورية العربية المتحدة حريصة كل الحرص على علاقاتها مع اليمن، ولن تتردد في أن تقدم إلى هذه الحكومة أي مساعدات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية يمكن أن تكون لها فائدة بالنسبة لشعب اليمن، الذي يكن له شعب الجمهورية العربية المتحدة كل محبة صادقة وود متين^(٢).

(١) عبدالعزيز المقالح: مرجع سابق، ص ٣٤-٣٥، وأنظر الحياة اللندنية: عدد ٤٨١٧، ٢٨ ديسمبر ١٩٦١م، ص ٢، وأنظر أيضاً يوسف خوري: مرجع سابق، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٢) يوسف خوري: مرجع سابق، ص ٣٨٩.

الخاتمة

- يستنتج من هذا البحث أن مصر واليمن لم يكونا جاهزين لتجربة الوحدة، ولكن سعت اليمن لها من أجل تحقيق مصالحها الخاصة.
- أظهر البحث أن هذه الوحدة لم تكن وحدة جدية وإنما شكلية فقط، ولم تؤثر في اليمن داخليًا.
- على الرغم من وجود ميثاق للوحدة، ولكن بنوده توحى باستقلالية الدولتين عن بعضهم.
- لم تسمح اليمن لمصر بالتدخل في شؤونها على الرغم من وجود الوحدة.
- اكتفت اليمن بالسماح لمصر بإكمال ما كان ينقصها من التمثيل الدبلوماسي الخارجي.
- انهارت الوحدة سريعًا نتيجة اختلاف الایدولوجية السياسية للدولتين.
- على الرغم من انهيار الوحدة إلا أن مصر استمرت في دعم اليمن.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً الوثائق غير المنشورة:

❖ دار الوثائق القومية المصرية، محافظ التجارة والمبيعات، كود أرشيفي(0079/007858)، العلاقات المصرية اليمنية من ١٩٦٢م إلى ١٩٦٤م، وزارة الاقتصاد الإدارة العامة للشؤون الاقتصادية المراقبة العامة للاقتصاد الخارجي، اقتصاديات الجمهورية العربية اليمنية والعلاقات الاقتصادية بينهم وبين الجمهورية العربية المتحدة، صلاح الدين عبده جلال مراقب الاقتصاد الخارجي، مارس ١٩٦٣م.

ثانياً الوثائق المنشورة:

- المؤتمر العرب الأول المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سن جرمن بباريس من يوم الأربعاء ١٨ أبريل ١٩١٣ إلى يوم الاثنين ٢٣ أبريل ١٩١٣م، صدر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر، مطبعة البوسفور بشارع عبدالعزيز أمام سراي شريف باشا، القاهرة، ١٩١٣م.

ثالثاً الوثائق الأجنبية:

-F.R.U.S: NEAR EAST REGION IRAQ IRAN ARABIAN PENISULA1958-1960, VOLUME XII, Document360, Memorandum from the Director of the Office of Near Eastern Affairs(Rockwell) to the Assistant Secretary of State for Near Eastern South Asian and African Affairs(Rountree), Yemen Developments since your Departure, Washington, 21February 1958.

-F.R.U.S: NEAR EAST REGION IRAQ IRAN ARABIAN PENISULA1958-1960, VOLUME XII, Document361, Background Paper From the Assistant Secretary of State for Near Eastern South Asian and African Affairs (Rountree) to the Under Secretary of State (Herter),Document361, Washington, 4 march 1958.

رابعاً المذكرات:

- ١- خالد العظم: مذكرات خالد العظم، ج٣، ط٢، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣م.
- ٢- عبداللطيف البغدادي: مذكرات عبداللطيف البغدادي، ج٢، المكتب المصري الحديث، القاهرة.
- ٣- وجيه أبو ذكري: الزهور تدفن في اليمن، ط٢، دار الصحافة، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ٤- صلاح الدين الحديدي: شاهد على حرب اليمن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ٥- صلاح الدين المحرزي: الصمت الحائر وثورة اليمن، (د. ن) القاهرة، ١٩٩٨م.
- ٦- عادل أرسلان: مذكرات الأمير عادل أرسلان ١٩٣٤-١٩٤٥م، تحقيق يوسف إيبش، ج١، ط٢، الدار التقديمية، لبنان، ٢٠٠٩م.
- ٧- عبدالله بن الحسين: الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين حقبة من تاريخ الأردن، الدار المتحدة للنشر، لبنان.

خامساً المراجع:

- ١- أحمد جابر العفيف: الموسوعة اليمنية، المجلد الأول، ط٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، يناير ٢٠٠٣م.
- ٢- أحمد فارس عبدالمنعم: جامعة الدول العربية ١٩٤٥-١٩٨٥م دراسة تاريخية وسياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦.
- ٣- أحمد يوسف أحمد: الدور المصري في اليمن (١٩٦٢-١٩٦٧م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.
- ٤- خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج١، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، مايو ١٩٨٦م.
- ٥- عبدالعزيز المقالح: عبدالناصر واليمن فصول من الثورة اليمنية، ط٢، دار الحداثة للنشر، القاهرة، ١٩٨٦.
- ٦- عبدالوهاب العقاب: تاريخ اليمن المعاصر، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٩.

دورية علمية محكمة- كلية الآداب- جامعة أسوان أبريل ٢٠٢٤

٧- يوسف خوري: المشاريع الوحدوية العربية (١٩١٣-١٩٨٩م) دراسة توثيقية، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، يوليو ١٩٩٠م.

سادساً الأبحاث العلمية

- بطرس بطرس غالي: الناصرية وسياسة مصر الخارجية، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣، ١٩٧١م.

سابعاً الرسائل العلمية:

- رجاء رحيم مرسول: أثار التدخل العسكري المصري في اليمن ١٩٦٢-١٩٦٧م دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠١٠م.

الدوريات:

- الأهرام، ٣١ أغسطس ١٩٥٨م
- _____: عدد ٢٧٤١١، ٢٩ ديسمبر ١٩٦١م.
- الحياة اللندنية، عدد ٣٦٥٢، ٩ مارس ١٩٥٨م.
- _____ عدد ٤٨١٧، ٢٨ ديسمبر ١٩٦١م.

تشرود دراسة خطأ التابور الداخلي لباوى أتمو

رقم CG 6024 بمصمف السمنط بالأفصر

إعراو

سمالدرأفمدرمحمودأكرار

المعبرالعارلأفصارأف الشرأ اللأففى أفففرم.

أامعة الفزفانفوف

ملخص البحث

يهدف المقال إلى دراسة غطاء التابوت الداخلي والذي يحمل رقم الدخول (JE 29683)، وتم العثور عليه في المقبرة الجماعية لكهنة آمون بالقرب من معبد الدير البحري في البر الغربي لطيبة، والمعروفة باسم "مقبرة باب الجاسوس" أو "الخبئية الثانية" في عام ١٨٩١ في الدهليز الغربى، ويوجد الآن في متحف التحنيط بمدينة الأقصر منذ عام ٢٠٠٦. يظهر غطاء التابوت في هيئة بشرية، وينتمى الغطاء إلى نوع "التوابيت الصفراء" ويعود تاريخه إلى أواخر عصر الأسرة الحادية والعشرين. وحمل الغطاء اسم ولقب الكاهن "بادى آمون" واغضبته زوجته "تا عا آمون". وأثبتت الدراسة أنها قد تكون ابنة عمه "بادى خونسو الثالث". وتم تحديد هوية صاحب الغطاء لوجود أكثر من ٨ كهنة يحملون اسم صاحب الغطاء ، وأنه إمتلك تابوتا آخر برقم (A.140) .

Abstract

The article aims to study the inner coffin lid, which bears an entry number (JE 29683), and was found in the mass tomb of the priests of Amun near the Deir el-Bahari temple on the western river bank in Thebes, known as "Bab el- Gasus tomb" or "the second cache" in 1891, in the western corridor . The coffin lid has existed now in the Mummification musum in Luxor city since year 2006. the inner coffin lid appears in an anthropoid coffin, and belongs to the type known as "the yellow coffins" and dates back to the late period of the 21st dynasty. It the had the name and the surname of the priest "Padi Amon", and was raped by his wife, "Ta Aa Amun", and the study proved that she may be the daughter of his uncle the priest "Badi Khonsu III". And the identity of the owner of the cover was determined, because we have more than eight priests bearing the name of the owner of the coffin lid, and owned another Coffin with the number A. 140 .

تابوت الكاهن بادي أمون  JE (pA- dj – jm)
29683

- السياق الأثرى والتاريخ

يتكون تابوت الكاهن بادي أمون ^(١)  أو  pA-djw-jmn، والذي يرجع الى منتصف عصر الأسرة ٢١ تابوت داخلي وغطاء للتابوت وغطاء مومياء. ويتركز البحث هنا على دراسة غطاء التابوت فقط (لوحة رقم ١). يبلغ طول غطاء التابوت والذي يحمل رقم سجل عام (CG 6024)، وقد تم العثور عليه في خبيئة أو مقبرة باب الجاسوس بالدير البحري بالبر الغربى بالأقصر (لوحة رقم ٢). ويبلغ طول الغطاء ٨٣،١م ويبلغ عرضه ٥٠سم، ويبلغ عرض منطقة الساقين ٣٤سم ويبلغ عرض لوحة القدم ٣٠سم. والتابوت مصنوع من خشب الجميز. وقد أعطى Daressy لهذا التابوت رقم 84 A.، كما أعطاه Bouriant رقم B.107 ^(٢)، وتم نقله أولا الى متحف بولاق مع مجموعة توابيت خبيئة باب الجاسوس، وبعد إفتتاح المتحف المصرى بالقاهرة تم نقله إليه. ويحمل التابوت رقم JE 29683 بسجل الدخول الى المتحف، وحمل أيضا أرقاما مؤقتة وهى CG 6024 (غطاء التابوت الداخلى) وCG 6025 (صندوق التابوت) و CG 6026 (غطاء المومياء). ويوجد الآن بمتحف التحنيط بمدينة الأقصر المصرية.

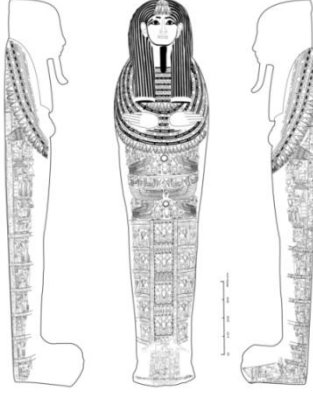
^{١)} حمل ثمانية كهنة اسم "بدي أمون" وهم كالتالى:صاحب التابوت رقم A.24 ، وعاش فى عهد الكاهن الأكبر "بانجم الثانى" والتابوت رقم A.28 وقام باغتصابه Ns-pA-n-Hr-tA-iHt ، والتابوت رقم A.84 ، والتابوت رقم A.87 ، والتابوت رقم A.93 ، والتابوت رقم A.99 والتابوت رقم A.114 ، والتابوت رقم A.140 ، وينتمى التابوت الأخير لصاحب غطاء التابوت محل الدراسة لتطابق الألقاب بينهما.

;Saphinaz-Amal, Naguib, Le clergé féminin d'Amon :thébain à la 21e dynastie, Vol. 38. Peeters Publishers, 1990, 273.

^{٢)} Daressy, Georges. Les cercueils des prêtres d'Ammon: deuxième trouvaille de Deir El-Bahari. ASAE 8,10, 1907, 29. ;Émile, Chassinat. La seconde trouvaille de Deir El-Bahari (sarcophages).No. 6001-6029. l'Institut français d'archéologie orientale, 55,1909.,footnote,1,2. ;Jacques, de Morgan. Notice Des Principaux Monuments exposés Au Musée De Gizeh. 1895, 272.

(شكل رقم ١) رسم خطى لغطاء التابوت الداخلى (CG 6024)

وقد جاء ذكر اسم وألقاب بادى أمون صاحب التابوت محل الدراسة على جدران التابوت رقم p. 621 والموجود حاليا بمتحف نبراسكا بدولة التشيك، حيث قام Miroslav Verner بنشر التابوت عام



١٩٨٢^(١). والتابوت يحمل عدة أسماء أخرى، ولكن ما يمثل أهمية كبيرة هنا أنه جاء ذكر السيدة **Imn aA ta** "تاعا أمون"، وهي السيدة التى قامت بإغتصاب تابوت بادى أمون محل الدراسة. وبالنظر فى الأسماء الموجودة عليه^(٢)، نجد أن ذكرها هنا يوضح الرابطة الأسرية والتي تجمع بين الأشخاص المذكورين

فى التابوت، حيث جاء ذكر والد بادى أمون وهو **Ns-pa-ka-Swtj** "نس با كا شوتى"، كما جاء ذكر الكاهن بادى خونسو فى التابوت أيضا وهو أخ لنس با كا شوتى" والد بادى أمون^(٣). وتطابقت ملامح الوجه بين التابوت رقم p. 621 والذى جاء ذكر اسم بادى امون وزوجته "تا عا أمون" وبين ملامح وجه تابوت بادى خونسو الثالث والموجود بمتحف ليون برقم **H 2320-2321** (انظر لوحة رقم ٣).

¹⁾ Miroslav Verner, Altägyptische Särge in den Museen und Sammlungen der Tschechoslowakei. (Corpus Antiquitatum Aegyptiacarum, 1982 , 229.

²⁾ أن يكون الكاهن "عنخ اف ان خونسو" هو صاحب التابوت لتعدد الأسماء الموجودة **Verner** إقترح ²⁾ ولذكر اسمه أولا على التابوت بمتحف نبراسكا.

;Miroslav Verner, Altägyptische Särge,1982, 229.

3) Miroslav Verner, Altägyptische Särge, 1982, 228. ;France Jamen, Le cercueil de Padikhonsou au musée des Beaux-Arts de Lyon, XXie dynastie. Harrassowitz Verlag, 2016, 16, footnote 53. ;Villar Alba María Gómez, The personnel of Khonsu during the third intermediate period at Thebes: A prosopographical study of the 21st dynasty. Universidad Autónoma de Madrid, Diss.,2015, 92 Ash.